

اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا)

تسليط الضوء على ديناميات التوترات الطائفية:

تحليل لوجهات نظر الشباب في لبنان
بناء على استنتاجات سلسلة من حلقات النقاش

الأمم المتحدة

Distr.
GENERAL

E/ESCWA/ECRI/2009/5
11 September 2009
ARABIC
ORIGINAL: ENGLISH



الإسكوا

HEINRICH
BÖLL
STIFTUNG
MIDDLE EAST

مؤسسة هنريش بل
الشرق الأوسط

اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا)

تسليط الضوء على ديناميات التوترات الطائفية:

**تحليل لوجهات نظر الشباب في لبنان
بناء على استنتاجات سلسلة من حلقات النقاش**

الأمم المتحدة
نيويورك، 2009

09-0343

تصدير

هذه الوثيقة هي دراسة تتناول ديناميات التوترات الطائفية التي أصبحت نزعة منتشرة في بلدان غربي آسيا. وهي الأولى من نوعها وتهدف إلى تحليل ديناميات التوترات الطائفية بأدق تفاصيلها، بالتركيز على الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و25 سنة، ويشكلون الشريحة الكبرى من السكان العرب، وذلك بناء على استنتاجات سلسلة من حلقات النقاش. وقد اعتمد المجتمع اللبناني كدراسة حالة لتوجيه النقاشات والتعمق في فهم العوامل المؤدية إلى تأجيج التوترات الطائفية، التي هي من الأسباب الجوهرية للنزاعات.

وتتضمن الدراسة تقيماً لوجهات نظر الشباب بشأن العلاقات بين الطوائف، والديناميات الخاصة بين الطوائف، وطبيعة النظام السياسي.

وتكشف الدراسة عن وضع يدعو للقلق، من حيث انتشار الجيوب الاجتماعية والمكانية في أوساط الشباب، وكذلك انعدام الثقة وشيوع النفور بفعل الأفكار النمطية التي تكونها كل طائفة عن الأخرى. وتخلص الدراسة إلى مجموعة من التوصيات تهدف إلى التخفيف من حدة التوترات الطائفية المتأججة. وتدعو هذه التوصيات لوضع حدٍ للتسلح بالهوية الطائفية لأغراض الإقصاء والتسييس؛ والحد من تفكيك العلاقات الاجتماعية التي تركز الانقسام بين الطوائف؛ ومعالجة التحديات الناجمة عن النزعة إلى الإقصاء التي تنطوي عليها العلاقات الاجتماعية؛ فضلاً عن اتخاذ تدابير أخرى من شأنها تعزيز الانصهار الاجتماعي والتعايش السلمي. وتقترح الدراسة كذلك إجراء بحوث حول مجموعة من المواضيع في المستقبل.

المحتويات

الصفحة

| | |
|----|--|
| ج | تصدير |
| ز | ملخص تنفيذي |
| | <u>الفصل</u> |
| 1 | أولاً - مقدمة |
| 1 | ألف - التوترات الطائفية: قوة مدمرة ومصدر للنزاعات |
| 2 | باء - أهداف الدراسة ومنهجيتها |
| 6 | ثانياً - التوترات الطائفية: المنظورات الدولية والإقليمية |
| 6 | ألف - منظور الأمم المتحدة |
| 7 | باء - المنظور الإقليمي |
| 9 | ثالثاً - عرض لأسباب النزاعات الطائفية |
| 12 | رابعاً - فهم ديناميات التوترات الطائفية بين الشباب |
| 12 | ألف - ديناميات التوترات الطائفية |
| 12 | باء - تحليل التوترات الطائفية بناء على سلسلة من حلقات النقاش |
| 20 | خامساً - الاستنتاجات |
| 21 | سادساً - التوصيات |
| 24 | المراجع |

ملخص تنفيذي

وكشفت حلقات النقاش عن مفارقة تتميز بها العلاقات الاجتماعية في المجتمعات المتعددة الطوائف، مثل المجتمع اللبناني. فقد سبق للمشاركين أن اختلفوا مع غيرهم من أبناء الطوائف الأخرى وتفاعلوا معهم، إلا أن هذا الاختلاط لم يكن كافياً لتبديد المخاوف من الطوائف التي لا ينتمون إليها.

وتبرز الطبيعة المجزأة للعلاقات الاجتماعية بين الطوائف على مستوى الفضاءات أيضاً. فقد كشفت المناقشات أن الشباب يميزون بوضوح بين مختلف الأماكن حسب استخداماتها. فالاختلاط الاجتماعي ممكن في الأماكن "العامة"، مثلاً. ولكن عند اختيار مكان الإقامة، يصبح العيش في الأحياء المتعددة الطوائف غير مألوف بالنسبة إلى المشاركين، لأن شغلهم الشاغل هو العيش بأمان.

وقد اتضح من المناقشات أن المشاركين واعون لانتشار الجيوب الفضائية والاجتماعية، وأن الشباب يشعرون بخيبة أمل واضحة من الدولة والنظام السياسي. إلا أن الآراء تكاد تجمع على رفض وقوع أي شكل من أشكال التباعد بين اللبنانيين. وأعرب المشاركون في حلقات النقاش، والذين ينتمون إلى طوائف مختلفة، عن تطلعهم إلى أن يكون لبنان وطناً واحداً موحداً. واعتبر جميع المشاركين تقريباً أن تعدد الثقافات في لبنان ثروة للمجتمع، وأن الشباب اللبناني يتطلع إلى قيام نظام سياسي متوازن ينعم الجميع في ظلّه بالعدالة والمساواة.

وتخلص الدراسة إلى عدد من التوصيات التي تدعو المؤسسات الحكومية والمنظمات المتعددة الأطراف والمجتمع المدني والجهات المانحة المعنية إلى العمل على ترسيخ القيم المدنية في النظام التعليمي، وعلى تعزيز ممارسات الحكم السليم في القطاع العام. ويقصد من هذه التوصيات المساعدة في تعزيز القدرة على تحقيق التنمية والتماسك الاجتماعي والتعايش السلمي.

التأثير القوي للانتماء الطائفي على الديناميات السياسية والاقتصادية والاجتماعية هو ظاهرة ليست جديدة على المنطقة العربية. غير أن العقود الأخيرة شهدت سلسلة من التطورات التي أجمت هذه النزعة من جديد. وتنطوي هذه النزعة التي تزداد انتشاراً في عدد من بلدان عربي آسيا، على مخاطر جسيمة. وما لم تخضع التوترات الطائفية للضوابط اللازمة، فستبقى تشكل قوة جامحة تغذي التشرذم والتفكك داخل منطقة الإسكوا وخارجها. ولا شك في أن هذه التوترات تؤدي إلى تقويض جهود الإصلاح، وتهميش حقوق الإنسان والقيم الدينية، وزرع الفوضى، وإشعال الفتن الأهلية.

والنهج الذي اعتمد في هذه الدراسة هو نهج نوعي بحث، يركز على تحليل الاستنتاجات التي خلصت إليها حلقات نقاش ضمت شباباً تتراوح أعمارهم بين 18 و25 سنة. وتتناول هذه الدراسة ديناميات التوتر والعداء والصراع بين الطوائف، وتتخذ لبنان كدراسة حالة.

وتؤكد الدراسة أن التوترات الطائفية تتفاقم من جراء تفاعل عدد من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والخارجية وكذلك العوامل المتصلة بتركيبة الدولة. وتشير تحديداً إلى أربعة عناصر أساسية باعتبارها جزءاً من الأسباب الجوهرية للتوترات الطائفية في الحالة موضوع الدراسة، وهي إعادة إنتاج الهويات الطائفية، وتجزئة العلاقات الاجتماعية بين الطوائف ونشوء فضاءات اجتماعية إقصائية والطبيعة الزبائنية للنظام السياسي.

ومع أن الهويات الجماعية المختلطة هي سمات يكاد لا يخلو منها أي مجتمع، يبدو أن البعد الطائفي لدى الشباب اللبناني يكتسب أهمية تفوق أهمية "الهويات الأخرى"، كالانتماء إلى العائلة أو المنطقة مثلاً.

أولاً - مقدمة

ألف - التوترات الطائفية: قوة مدمرة ومصدر للنزاعات

أي محاولة لمعالجة التوترات الطائفية لن تكون مجدية من دون معالجة الأرض الخصبة التي تغذي هذه التوترات في مختلف بلدان الإسكوا. وقد أشار تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2009⁽¹⁾ الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي إلى أن "المعلومات المستقاة من الواقع تؤكد أن الاختلافات الإثنية والدينية والطائفية واللغوية ترتبط بصراع الجماعات، لا سيما في البلدان التي ليس فيها تجانس سكاني. ففي بلدان مثل السودان والصومال والعراق ولبنان كانت الولاءات القبلية والإثنية والدينية هي المحاور التي التفت وحشدت حولها الجماعات للمناداة بالاندماج أو الانفصال (...). ومن الأمور الأساسية أن هذه الصراعات قد أسفرت عن الجانب الأعظم من الخسائر في الأرواح في البلدان العربية التي تجاوزت أعدادها ما وقع جراء الاحتلال الأجنبي لبعض هذه البلدان".

وما لم تخضع التوترات الطائفية للضوابط التي تخفف من حدتها، فقد تتحول إلى قوة جامحة تؤدي إلى التشرذم والتفكك في جميع أنحاء منطقة الإسكوا وخارجها. ولا شك في أن هذه القوة تؤدي إلى تقويض جهود الإصلاح، وتهميش حقوق الإنسان والقيم الدينية، وإذكاء الفوضى والفتن الأهلية. وتشكل التوترات الطائفية كذلك عائقاً أمام قيام مجتمع مدني فاعل في مختلف أنحاء المنطقة، يضم جميع الشرائح، ويرتقي بالواجبات والحقوق المدنية الشاملة على الانتماءات الإقصائية الضيقة.

وما لم تتحسن الظروف التي تغذي مشاعر التوتر والتحيز الطائفي، فستبقى جهود بناء السلام بلا جدوى في البلدان التي تعاني من النزاعات ومن الاضطرابات الأهلية. وسرعان ما تجد هذه البلدان نفسها في طريق مسدود، إذ لا تلبث أن تخرج من دوامة الصراعات حتى تنزلق فيها من جديد، نتيجة لتعثر التسويات السياسية، وظهور وقائع جديدة تملئها العوامل والمصالح الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وهكذا تبقى المنطقة في حلقة مفرغة من الفقر والتطرف وتدهور مؤسسات الدولة والتدخل الأجنبي.

التأثير القوي للانتماء الطائفي على الديناميات السياسية والاقتصادية والاجتماعية هو ظاهرة ليست جديدة. ويطلق مصطلح "الطائفة" في هذه الدراسة على مجموعة من الأشخاص، لهم هوية مشتركة، ومصير مشترك، والتزام مشترك. وهذا الإحساس بالانتماء يمكن أن يكون انتماءً إلى التقاليد الثقافية، والقيم، واللغة، والمعتقدات الدينية، والتراث المشترك. وتُطلق على هذه الجماعات ونزعاتها صفة العرقية أو القومية أو الإثنية أو الدينية أو الطائفية، حسب مجموعة الأبعاد التي تحدد ملامح الهوية التي تنتمي إليها، وأهمية كل بعد منها. وبالرغم من ذلك، ترى الدراسة أن مصطلح "الطائفة" محايد بما يكفي لتجنب الأحكام الضمنية والمفاهيم الخاطئة والمتكررة التي يوحى بها عدد من الكلمات الشائعة الأخرى. وترى كذلك أن هذا المصطلح عام بما يكفي للتأكيد على القواسم المشتركة بين مختلف أنماط تكوين الجماعات، وعلى منطق الإجراءات الذي يحكمها، وليس على النهج التي ترى خلافات جذرية بينها. غير أن تطورات عدة حدثت خلال العقود الأخيرة وأجبت هذه النزعة الخطيرة. وتدور نقاشات مطولة حول أفضل النظم الاقتصادية والسياسية الوطنية، خصوصاً منذ نهاية حقبة ما بعد الحرب الباردة التي أعادت رسم ملامح النظم الأمنية الاقتصادية والسياسية في العالم.

وكانت لحقبة ما بعد الحرب الباردة أيضاً تداعيات على النظام السياسي والأمني في المنطقة العربية. فلا تزال صراعات قديمة عدة مستعرة وأثارها تتفاعل، أبرزها استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية وأراض في الجمهورية العربية السورية ولبنان. وتلجأ القوى السياسية الفاعلة أكثر فأكثر للخطاب العرقي والطائفي، وتستخدمه لأغراض سياسية واقتصادية واستراتيجية. ومن الأسباب الرئيسية لذلك اندلاع العديد من الأزمات في العالم العربي، لا سيما في العراق، وظهور الأقطاب واستخدام سياسة القوة نتيجة للتحول في النظام السياسي الإقليمي وبروز قوى إقليمية جديدة.

وتستعمل القوى السياسية المحلية والإقليمية والعالمية خطاباً طائفيًا، عن قصد أو عن غير قصد، في مناطق أصابها التصدع، مثل العراق ولبنان. ويعاني عدد آخر من البلدان الأعضاء في اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا) من آفة التوترات الطائفية، أو من استخدامها في الخطاب السياسي. غير أن

(1) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2009: تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية، ص 56، 2009، نيويورك وجنيف.

باء - أهداف الدراسة ومنهجيتها

1- الأهداف

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أسباب التوترات الطائفية وما تطرحه من تحديات، وإلى تقييم أنماط تحولها والعوامل المساهمة في تفاقمها. وتسعى كذلك، من خلال عرض وجهات نظر الشباب وتحليلها في التوترات والصراعات الطائفية، إلى تشجيع المناقشات بين الباحثين وواضعي السياسات حول ما توصلت إليه الدراسة من استنتاجات وتوصيات بشأن السياسات العامة. ولم توضع التوصيات المقترحة في هذه الدراسة بقصد الاسترشاد بها في مناقشة نماذج ومواضيع بحث جديدة فحسب، بل أيضاً ليستخدماً صانعو السياسات والمتخصصون في بناء السلام أساساً لوضع استراتيجيات وبرامج عملية فعالة في المستقبل.

وتعتمد الدراسة نهجاً نوعياً بحثاً يركز على تحليل 15 حلقة نقاش، جرت بين كانون الأول/ديسمبر 2008 وكانون الثاني/يناير 2009، وشارك فيها 55 شاباً و58 شابة من لبنان. وجرى اختيار المشاركين بعناية من مختلف الجامعات في لبنان. وتتبع الدراسة أسلوباً تقليدياً معروفاً في دراسات السلام والنزاعات، يركز على تحليل وجهات نظر الطلاب الجامعيين في ما يخص الاختلافات المجتمعية والثقافية والعلاقات بين الطوائف. وتتيح الحياة الجامعية للكثير من الشباب البالغين الفرصة الأولى للتفاعل والتواصل مع أفراد ينتمون إلى خلفيات اجتماعية وثقافية مختلفة. وخلال الحياة الجامعية بالذات تتكون وترسخ التوجهات السياسية والنظم العقائدية لكل فرد، فإما أن يرسم علامات استفهام حول المفاهيم التقليدية السائدة وإما أن يؤيدها. ففي اختيار الطلاب الجامعيين للمشاركة في حلقات النقاش فرصة لسبر آراء الشباب حول أبناء الجماعات التي لا ينتمون إليها والحياة في المجتمع المتعدد الطوائف، وتكوين فكرة عن الصورة المحتملة للمستقبل السياسي عندما يصبح هؤلاء الشباب يوماً جزءاً من النخبة الاجتماعية والفكرية والمهنية.

وفي لبنان دراسات عدة تتناول وجهة نظر الطلاب في ديناميات العيش في مجتمع يخضع لنظام حكم حيث تعدد الطوائف. غير أن هذه الدراسة تكمل الدراسات الكمية، ببحث نوعي حول هذه الديناميات. وتشكل حلقات النقاش محاولة من المحاولات الجديدة لفهم وجهة نظر الطلاب البالغين في مواضيع مثل الهوية الطائفية، وديناميات العيش في المجتمعات المتعددة الطوائف، والنظام السياسي اللبناني.

وبالإضافة إلى ذلك، تستفيد الدراسة من الأدبيات المتنوعة والمشاروات المحلية والإقليمية ذات الصلة التي نظمتها الإسكوا بين عامي 2006 و2009.

2- لبنان: دراسة حالة

تركز هذه الدراسة على لبنان باعتباره حالة مؤاتية لبحث موضوع التوترات الطائفية وديناميات العيش المشترك. فقد شهد هذا البلد على مدى فترة طويلة، أحداثاً هامة استحوذت على اهتمام الأوساط السياسية ووسائل الإعلام في المنطقة والعالم. وحظيت الانتخابات البرلمانية التي جرت في لبنان في حزيران/يونيو 2009 باهتمام خاص من البلدان المجاورة، والمجتمع الدولي بأسره⁽²⁾.

وفي تاريخ الحرب الأهلية في لبنان، وفي التعددية التي يتسم بها المجتمع اللبناني، وسياسة تقاسم السلطة، وحرية التعبير النسبية في هذا البلد ما يساعد على دراسة العوامل والأسباب الجوهرية التي توجج التوترات الطائفية. وتشكل الطائفية ركيزة النظام السياسي والإداري اللبناني، حيث هذا النظام موزع بالتناسب بين مختلف الطوائف. ووفقاً للتقرير الوطني للتنمية البشرية في لبنان 2008-2009 والمعنون "نحو دولة المواطن"، تُسند إلى المجتمعات الطائفية مهمة التوسط في العلاقة بين الدولة ومواطنيها "ها" (...). ويصطدم بناء المؤسسات بنكسات كبيرة، إذ تؤدي الصراعات الطائفية والسياسية إلى جو من الجمود السياسي⁽³⁾.

وفي الوقت الحاضر، يسيطر ممثلو الطوائف المختلفة على النقاش السياسي. فالمصلحة العامة هي عبارة عن حالة من التوافق بين المصالح التي تنشدها الطوائف المختلفة، وذلك من دون اعتبار لشروط الكفاءة أو الاستدامة أو التنمية⁽⁴⁾. والنموذج اللبناني، تتواجه ثقافة مع ثقافة، ويقف ناس مع ناس، وتقف عشيرة مع عشيرة⁽⁵⁾، أصبح موضوع بحث تركز عليه الدراسات حول النزاعات. والدراسة الحالية هي محاولة لاختبار

(2) المجموعة الدولية لمعالجة الأزمات، الانتخابات اللبنانية: في تفادي دوامة جديدة من المواجهات، 4 حزيران/يونيو 2009. انظر الموقع الإلكتروني: <http://www.crisisgroup.org/home/index.cfm?id=6130&l=6>.

(3) UNDP. 2009b. *The National Human Development Report 2008-2009: Toward a Citizen's State*. New York and Geneva: UNDP. Pp. 38 and 40.

(4) المرجع نفسه، ص 71.

(5) Barber, B. 1992. *Jihad vs. McWorld*. *The Atlantic Online*. March. P. 1.

المرحلة من الحياة، يعيش الفرد أزمة هوية، وهو يحاول تقييم العلاقة بين صورته عن ذاته، وصورته عن الحياة خارج هذه الذات⁽⁹⁾.

ولذلك من المهم أن يفهم الناس كيف تُبنى هوياتهم وكيف يتطور وعيهم حول انتمائهم لجماعة معينة. وهذا الإدراك هو عنصر ضروري لتحليل ديناميات العيش المشترك وديناميات العداء في أي مجتمع متعدد الطوائف، إذ يوضح التصور الذي يكونه الشباب عن مكانتهم في الأوساط الاجتماعية والسياسية في المجتمع. ولا بد من فهم التفاعلات الفردية والجماعية في المجتمعات المنقسمة لتقدير احتمالات النجاح أو الفشل في تحقيق السلام والعيش المشترك.

وفئة الشباب تكون عادة شديدة التأثر بالتوترات السياسية والصراع والعنف. فالحروب تترك ندوباً عميقة الأثر على الصحة النفسية للشباب وعلى تطوراتهم⁽¹⁰⁾، وتقوض قدرتهم على اتخاذ قرارات واعية. وفي ظل التوتر السياسي في لبنان، حيث الحرص على تجنب القضايا الحساسة لا سيما في نظام التعليم الرسمي، وحيث التاريخ الوطني موضع خلاف، يبدو الشباب هدفاً سهلاً لفرض تفسيرات شتى مستمدة من إيديولوجيات وبرامج سياسية مختلفة. وقد أدت جميع هذه العوامل إلى تفويض القدرة على تطوير المهارات التي تمكن الشباب من المناقشة والتحليل وتكوين آراء واعية حول مختلف القضايا أو الجماعات، "وتعزز الانقسامات الموجودة بين مختلف الفئات"⁽¹¹⁾.

وكان استخدام الشباب وتجنيدهم في الصراعات الطائفية والحروب الأهلية موضوع بحث وتحليل في الكثير من الدراسات⁽¹²⁾. ففي بيروت، كان معظم المسلحين في أحداث أيار/مايو 2008 من الشباب. وفي بغداد كان استخدام الأطفال في أعمال العنف الطائفي موضوع بحث في تقرير الأمين العام المقدم عملاً بالفقرة 6 من القرار

(9) Sennett, R. 1970. *The Uses of Disorder: Personality, Identity and City Life*. New York: Norton. P. 17.

(10) Bryce, J. and Armenian, H. (eds.) 1986. *Wartime: The State of Children in Lebanon*. Arab Gulf Programme for United Nations Development Organizations. Beirut: American University of Beirut.

(11) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، التربية والمواطنة، المعارف، المفاهيم، المواقف، والأعمال، نتائج دراسة لطلبة الصف التاسع في لبنان من منظور دولي بيروت، لبنان، 2008.

(12) Castells, M. 2004. *The Power of Identity: The Information Age: Economy, Society and Culture, Vol. II*. Malden, Massachusetts: Blackwell.

نهج نوعي يرتكز على حلقات النقاش، يمكن تكيفه في وقت لاحق بحيث يطبق على حالات أخرى في منطقة الإسكوا، حيث تشهد بلدان عديدة تفاقماً في العداء الطائفي. فمن بيروت إلى بغداد ومن المنامة إلى المنيا (مصر)، تشغل قصص العداء بين الطوائف المحلية واللجوء المتكرر إلى العنف وسائل الإعلام والمدونات الإلكترونية. ومع إنكار هذه الظاهرة واستنكارها باعتبارها جزءاً من استراتيجيات "فرق تسد"، يتضح أنها واقع أليم لا يمكن إنكاره في عدد من البلدان العربية، وعامل يزعزع الاستقرار في المنطقة بأسرها. فعندما يندلع صراع داخلي في بلد معين يجذب أطرافاً إقليمية أو دولية قد يكون للعديد منها مصلحة في هذا الصراع، فتسارع إلى التدخل والصلوع فيه.

3- التركيز على الشباب

تشهد المنطقة العربية ارتفاعاً غير مسبوق في أعداد الشباب، وفي هذا الارتفاع ما يبرر التركيز على هذه الشريحة في دراسة من هذا القبيل. ويشير تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2009 إلى "طفرة الشباب" بوصفها تحدياً من أكبر التحديات الديمغرافية في المنطقة العربية. ويوضح التقرير أن حوالي 60 في المائة من السكان هم دون سن 25 سنة، وأن متوسط العمر في البلدان العربية هو 22 سنة بينما المتوسط العالمي هو 28 سنة⁽⁶⁾.

وتسجل معدلات البطالة تفاوتاً كبيراً بين البلدان العربية، حيث تتراوح بين 46 في المائة في الجزائر و6.3 في المائة في الإمارات العربية المتحدة. وتسجل معدلات بطالة الشباب في البلدان العربية ذات الدخل المرتفع والمتوسط والمنخفض أرقاماً بالعشرات. وهذا الارتفاع يعزى، وفقاً لتقرير التنمية الإنسانية العربية إلى عدد من الأسباب الرئيسية، أهمها جودة التعليم ونوعيته⁽⁷⁾. وفي ظل ارتفاع معدلات البطالة وصعوبة الحصول على التعليم وكذلك بروز "طفرة الشباب" في العديد من البلدان، تزداد نزعة الشباب إلى التعصب الطائفي.

والأهم أن الشباب هم الذين يرسمون معالم المستقبل في أي مجتمع. ففي مرحلة المراهقة، يكون الفرد هويته الثقافية والاجتماعية والسياسية ويعيد تكوينها⁽⁸⁾. وفي تلك

(6) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2009، مرجع ذكر سابقاً.

(7) المرجع نفسه.

(8) Erikson, E. 1959. *Identity and the Life Cycle: Selected Papers by Erik H. Erikson. Psychological Issues Monograph 1*. New York: International University Press.

الشرقية والجنوبية وطرابلس، وكذلك الريفية، مثل الشوف وزغرتا وبعبك الهرمل وعمار. وضمت حلقات النقاش عدداً يتراوح بين سبعة وعشرة مشاركين في كل جلسة. ودقق المنشطون والمشرّفون في خلفيات المشاركين، للتأكد من أن كلاً منهم يستوفي المعايير المطلوبة. (انظر الجدول التالي).

جدول موجز عن حلقات النقاش

| عدد الحلقات | لمحة عن تشكيلة الحلقات | |
|-------------|-------------------------|-------------|
| - | ذكور: 55 | نوع الجنس |
| - | إناث: 58 | |
| 4 | الطائفة السنية | الطوائف |
| 4 | الطائفة الشيعية | |
| 3 | الطائفة المارونية | |
| 2 | الطائفة الدرزية | |
| 2 | الطوائف المسيحية الأخرى | |
| 9 | متوسط | مستوى الدخل |
| 6 | منخفض | |
| 3 | جبل لبنان | المنطقة |
| 5 | الشمال | |
| 2 | البقاع | |
| 5 | بيروت وضواحيها | |

والجدير بالذكر أن حلقات النقاش ضمت مجموعات متجانسة من الشباب. فقد كان اختيار الأشخاص مدروساً بحيث ينتمي المشاركون في كل حلقة إلى طائفة واحدة، وذلك لتلافي أي تكلف قد يلجأ إليه بعض المشاركين، مراعاةً لوجود أشخاص من طائفة أخرى في الحلقة نفسها، وتجنباً لقول ما قد يؤدي مشاعرهم. وضمن المجموعات المتجانسة، شعر المشاركون بالارتياح وهم يناقشون آراءهم ووجهات نظرهم في طائفتهم والطوائف الأخرى.

وتم إعداد الأسئلة ومواضيع المناقشة بحيث تغطي موضوعين رئيسيين، هما ديناميات العلاقات والعداء بين الطوائف المختلفة؛ وطبيعة المحسوبية والنظام السياسي. وفي سياق الموضوع الأول، تمحورت الأسئلة حول وجهة نظر المشاركين في الطوائف الأخرى، والديناميات المكانية ومجال الحركة، والممارسات اليومية. أما في سياق الموضوع الثاني، فتتمحورت الأسئلة حول وجهات نظر المشاركين في النظام السياسي والممارسات السياسية والقادة السياسيين. وفي هذا الصدد، لا تحاول الدراسة معالجة جميع الأسباب الحقيقية للتوتر الطائفي، بل تركز على رأي الشباب في قضايا التمسك بالهوية الطائفية، والعلاقات بين الطوائف المختلفة، والنظام السياسي.

1770 (تموز/يوليو 2008)⁽¹³⁾، وتقرير الأمين العام بشأن الأطفال والنزاعات المسلحة (كانون الأول/ديسمبر 2007)⁽¹⁴⁾.

ويضطلع الشباب في الوقت نفسه بدور رئيسي في الدعوة للحلول السلمية. فكثيراً ما تقدم الشباب التظاهرات والاعتصامات السلمية في لبنان، حيث نظمت الحركات الشبابية غير الحزبية حملات للدعوة إلى السلام والعيش المشترك منذ منتصف التسعينات، ولا سيما بعد عام 2005، مثل حملة "خلص- معاً لخلص لبنان" وحملة "نحو المواطنة".

4- المنهجية المعتمدة

أجريت هذه الدراسة على مجموعة تضم 113 شابة وشاباً لبنانياً، تتراوح أعمارهم بين 18 و25 سنة. وقد جرى اختيار هؤلاء الشباب من جميع أنحاء لبنان، ومن طبقات اجتماعية واقتصادية منخفضة ومتوسطة الدخل، ومن جميع الطوائف. وشارك هؤلاء في أكثر من 15 حلقة نقاش أشرف عليها منشطون متدربون من مركز البحوث حول حلقات النقاش في المركز اللبناني للدراسات.

وعقدت حلقات النقاش بين كانون الأول/ديسمبر 2008 وكانون الثاني/يناير 2009 في مناطق مختلفة من لبنان. وتناولت خمس منها طبيعة المحسوبية والنظام السياسي، في حين تناولت أربع حلقات ديناميات العلاقة والعداء بين الطوائف المختلفة. وتخللت الحلقات كذلك نقاشات معمقة مع أشخاص يتمتعون بخبرة تجريبية واسعة في موضوع التوترات الطائفية وحل النزاعات. وعقدت حلقتا نقاش مع المخاتير وأعضاء المجلس البلدي لمنطقتي الشياح وعين الرمانة، واللتين كانتا من المناطق الساخنة أثناء الحرب الأهلية؛ ومع ناشطين في المجتمع المدني يعملون على مشاريع ذات صلة بموضوع الدراسة.

وكان المشاركون في حلقات النقاش من الطوائف الرئيسية الأربع في لبنان، وهي الطائفة السنية والمسيحية والشيعية والدرزية. وقد اختيروا من جميع أنحاء البلاد، بهدف تمثيل المناطق الحضرية، مثل بيروت وضواحيها

(13) الأمم المتحدة، مجلس الأمن، تقرير الأمين العام المقدم عملاً بالفقرة 6 من القرار 1770 (2007)، S/2008/495، 28 تموز/يوليو 2008.

(14) الأمم المتحدة، تقرير الأمين العام بشأن الأطفال والصراعات المسلحة، A/62/609-S/2007/757، 21 كانون الأول/ديسمبر 2007.

5- مسوغات اعتماد نهج حلقات النقاش

الشفهي بين الناس في الحياة اليومية. وتوفّر المفاهيم والكلمات والعبارات التي يستخدمها الناس في هذه الحلقات لشرح وجهات نظرهم العناصر التي تستخدم عادة لإيصال رسائل معينة. وهكذا تشجع حلقات النقاش المشاركين التحوار والإدلاء بأرائهم المختلفة، وذلك بهدف إيضاح أوجه التباين في وجهات نظرهم ودفعهم إلى التعبير عنها. وقد اختير تصميم حلقات النقاش بناء على أفضل الممارسات في البحوث المتصلة بالسوق الاستهلاكية والدراسات المعنية بالرأي العام، بحيث يتجاوز الدوافع العقلانية والفكرية إلى كشف الدوافع الاجتماعية والعاطفية، وكشف التطلعات التي توجه سلوك الإنسان في معظم الحالات.

ويسمح نهج حلقات النقاش الذي يتيح إجراء مناقشات منظمة مع مجموعة من المشاركين، بتكوين فكرة وافية عن الديناميات الاجتماعية وخبرات الناس ومعارفهم، بعيداً عن الإحصاءات والأرقام. ويشجع هذا النهج أيضاً المشاركين على تبادل الحكايات المضحكة، ويدفعهم إلى التعليق على تجارب بعضهم البعض. وهذا التفاعل هو من فوائد حلقات النقاش، ولما يمكن تحقيقها عن طريق المقابلات الفردية أو الدراسات الاستقصائية. وفي حلقات النقاش، تُطرح وجهات نظر المشاركين بلغتهم وأسلوبهم، وليس بلغة الباحث، بحيث يستطيع الباحث دراسة المداخلات المختلفة التي أدلى بها المشاركون في الحلقة من أجل تحديد المعرفة المشتركة بينهم⁽¹⁷⁾.

6- تصميم الدراسة

تبدأ الدراسة بمقدمة، يليها استعراض لأهم وثائق الأمم المتحدة المعنية بالتوترات الطائفية، بما فيها ميثاق الأمم المتحدة وسلسلة من القرارات والإعلانات الصادرة عنها. ومن ثم تقدم الدراسة عرضاً موجزاً لمضمونها، من خلال تلخيص المناقشات التي تناولت الأسباب الجوهرية للصراعات الطائفية، قبل أن ترسم خريطة من الأسباب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والداخلية والخارجية. وتحلل الدراسة بعد ذلك الاستنتاجات التي خلصت إليها حلقات النقاش فيما يتصل بأربعة مواضيع رئيسية، هي (1) بناء الهوية الجماعية؛ (2) طبيعة العلاقات الاجتماعية؛ (3) استخدام الفضاءات المختلفة وطريقة النظر إليها؛ (4) صورة الدولة والنظام السياسي في نظر المشاركين. وتختتم الدراسة بملخص عن نتائج حلقات النقاش، قبل أن تعرض عدداً من التوصيات بشأن الطرق والأساليب الكفيلة بتوثيق العلاقات بين الشباب من مختلف

حلقات النقاش هي عبارة عن مجموعات صغيرة، تجري ضمنها مناقشات موجهة، يديرها مشرفون أخصائون مهمتهم تهيئة جو مريح لجميع المشاركين الذين يجري اختيارهم على أساس الخصائص الديمغرافية المشتركة، أو الخبرة والتحصيل العلمي والفئة العمرية ونوع الجنس، وعوامل أخرى. وتضم حلقات النقاش عادة عدداً يتراوح بين خمسة وتسعة أشخاص، وهي كبيرة بما يكفي لتبادل الأفكار والآراء، وصغيرة بما يكفي لتمكين الجميع من المشاركة في المناقشة⁽¹⁵⁾. ويطرح مدير الحلقة مجموعة من الأسئلة المفتوحة في تسلسل منطقي، ويثير عدداً من المواضيع المتصلة بسباق المناقشة. وهذا النوع من الأسئلة المفتوحة يسمح للمشاركين أن يجيبوا بأسلوبهم وللباحثين أن يتعمقوا في استقصاء المواقف والآراء.

وتساعد حلقات النقاش في سبر ردود فعل الأشخاص ومشاعرهم تجاه قضايا معينة، لماذا يهتمون بقضايا دون أخرى، كيف يتناقشون، أي لغة يستخدمون، ما الذي يثير فيهم هذا الإحساس أو ذلك ويدفعهم إلى سلوك معين⁽¹⁶⁾.

ولا تبيّن حلقات النقاش تفكير الأشخاص أو شعورهم تجاه قضايا معينة فحسب، بل تكشف الدافع إلى هذا التفكير والشعور، وكيفية تكوين آراءهم، ومن أين يستمدونها، وما هي العوامل التي تدفعهم إلى الإحساس والتصرف بطريقة معينة. وقد سمحت هذه المناقشات المنظمة للمشاركين بتشجيع بعضهم البعض، وذلك في جو من تبادل الأفكار، لم يكن ليتوفر عن طريق إجراء مقابلات معمقة مع المشاركين، ولا عن طريق إعداد مسوح كمية لاستقصاء آرائهم. ولا شك في أن حلقات النقاش مفيدة جداً لفهم اللغة التي يستخدمها الناس عندما يناقشون أفكاراً ومفاهيم محددة، ولتقييم المفاهيم والسياسات والرسائل. وهي بذلك تسهم في عملية صنع القرار في أي بلد.

وكثيراً ما اعتمدت البحوث الاجتماعية والصحية والبحاث المتصلة بالسوق في الماضي نهج حلقات النقاش. وتكمن أهمية هذا النهج في قدرته على توضيح الديناميات الاجتماعية التي توجه مواقف الناس وسلوكهم. وبشبهه النقاش الذي يخوضه المشاركون في هذه الحلقات التواصل

Canavor, V. 2006. *From Proposal to* (15) *Presentation: The Focus Group Process at NDI*. Internal National Democratic Institute (NDI) document.

(16) المرجع نفسه.

Kitzinger, J. 1995. Qualitative Research: (17) *Introducing focus groups. British Medical Journal*. 311:299-302.

الطوائف وتحسينها، فضلاً عن دور الدولة في قيادة جهود بناء السلام وإرساء مقومات السلم والعيش المشترك.
ثانياً - التوترات الطائفية: المنظورات الدولية والإقليمية

ومن جهة أخرى، بأعمال الإرهاب التي تؤدي إلى تقويض مسيرة التطور وشل حركة التغيير الديمقراطي⁽²⁰⁾.

ألف - منظور الأمم المتحدة

وأشار الأمين العام للأمم المتحدة في تقريره بشأن الألفية في عام 2000 إلى أن كل خطوة تتخذ من أجل تخفيف حدة الفقر وتحقيق النمو الاقتصادي العريض القاعدة - هي خطوة صوب اتقاء الصراعات. (...) وفي كثير من حالات الصراع الداخلي، يقترن الفقر بأوجه شقاق عرقي أو ديني حادة، حيث حقوق الأقليات لا تحظى بالاحترام الكافي ولا تشمل مؤسسات الحكم الجميع بالقدر الكافي (...). ومن الضروري أن تقتنع كل جماعة بأن الدولة ملك للجميع⁽²¹⁾.

وبعد إصدار التقرير بشأن الألفية، وفي إطار تجديد اهتمام الأمم المتحدة بالتوترات الطائفية، أعلنت المنظمة عام 2001 سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات. وورد في تقرير الأمين العام عن نتائج هذا الحوار أن "الأمم المتحدة تظل المكان الطبيعي للحوار فيما بين الحضارات؛ وهي المنتدى الذي يمكن أن يزدهر فيه الحوار ويؤتي ثمره في كل ميدان من ميادين العمل الإنساني. وما لم يتحقق هذا الحوار كل يوم فيما بين جميع الأمم - داخل الحضارات والثقافات والجماعات وفيما بينها- لا يمكن أن يتحقق سلام دائم ولا ازدهار آمن"⁽²²⁾.

وأشار الأمين العام في تقريره حول منع نشوب الصراعات المسلحة والصادر في حزيران/يونيو 2001 إلى أنه "وحتى يكون المنع فعالاً، لا بد من تحديد ومعالجة أسباب الصراع الجذرية في أبعادها المتعددة. وقد يكون السبب المباشر للصراع حدوث فوضى عامة أو احتجاج على حادثة معينة، غير أن الأسباب الجذرية قد تعود، مثلاً، إلى حالات جور أو عدم مساواة على الصعيد الاجتماعي-الاقتصادي، أو تمييز إثني نظامي، أو حرمان

كان العمل على تعزيز السلام والتخفيف من حدة النزاعات دائماً في صلب اهتمامات الأمم المتحدة. وتولي المنظمة اهتماماً خاصاً لقضايا الصراعات الطائفية، التي تتزايد وتيرتها وحدتها منذ مطلع التسعينات. وقد شهدت الأعوام القليلة الماضية اندلاع العديد من النزاعات الأهلية والداخلية، التي كانت لها آثار مدمرة لم تقتصر على أماكن حدوثها، بل طالت البلدان المجاورة، وخصوصاً ضمن منطقة الإسكوا.

وتعتمد الأمم المتحدة في معالجة التوترات الطائفية نهجاً يركز على البحث في السبل الكفيلة بالتخفيف من حدة النزاعات الناجمة عن الانقسامات العرقية والطائفية. وأما الهدف النهائي الذي تنتشه المنظمة عن طريق الحد من التوترات الطائفية، فهو إحلال السلام والمساواة وتحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية للسكان.

وفي عام 1993، اعتمدت الجمعية العامة الإعلان بشأن حقوق الأشخاص المنتمين إلى أقليات قومية أو إثنية وإلى أقليات دينية ولغوية⁽¹⁸⁾. وهذا الإعلان هو الصك الوحيد الصادر عن الأمم المتحدة الذي يتناول حصراً الحقوق الخاصة للأقليات. وقد اعتبرت الجمعية العامة في ديباجة هذا الإعلان أن "تعزيز وحماية حقوق الأشخاص المنتمين إلى أقليات قومية أو إثنية وإلى أقليات دينية ولغوية يسهمان في الاستقرار السياسي والاجتماعي للدول التي يعيشون فيها"⁽¹⁹⁾. وفي موازاة الاهتمام بالتوترات الطائفية باعتبارها قضية من قضايا حقوق الإنسان، تخصص الأمم المتحدة مزيداً من الاهتمام للأسباب الجوهرية للنزاعات، ومنها الانقسامات الطائفية.

وبعد أن أصدر الأمين العام للأمم المتحدة تقريره المفصلي "خطة للسلام"، أعلنت الجمعية العامة عام 1995 سنة الأمم المتحدة للتسامح. وأشار التقرير إلى أن السنوات الأخيرة شهدت "تأكيدات حادة للقومية والسيادة، ويهدد الصراع العرقي أو الديني أو الاجتماعي أو الثقافي أو اللغوي استقرار الدول. ويواجه السلم الاجتماعي التحدي المتمثل، من جهة، في دعوات جديدة للتمييز والاستئثار،

(18) الأمم المتحدة، قرار الجمعية العامة 135/47، إعلان بشأن حقوق الأشخاص المنتمين إلى أقليات قومية أو إثنية وإلى أقليات دينية ولغوية، A/RES/47/135، 3 شباط/فبراير 1993.

(19) المرجع السابق.

(20) الأمم المتحدة، تقرير الأمين العام المقدم عملاً بالبيان الذي اعتمده اجتماع القمة لمجلس الأمن في 31 كانون الثاني/يناير 1992، برنامج للسلام- الدبلوماسية الوقائية وصنع السلم وحفظ السلم، A/47/277-S/24111، 17 حزيران/يونيو 1992.

(21) الأمم المتحدة، تقرير الأمين العام للألفية، نحن الشعوب: دور الأمم المتحدة في القرن الحادي والعشرين، نيويورك: الأمم المتحدة، 2000.

(22) الأمم المتحدة، الجمعية العامة، تقرير الأمين العام بشأن سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات، A/56/523، ص 4، 2 تشرين الثاني/نوفمبر 2001.

معالجة الآثار السلبية للتوترات الطائفية والتخفيف من حدتها شكل من أشكال منع النزاعات، وعنصر من العناصر الأساسية لبناء السلام. ويبقى التصدي للتوترات الطائفية وإخمادها أساساً للنهوض بقيم حقوق الإنسان وتعزيز الجهود الرامية إلى تحقيق التنمية المحلية.

باء- المنظور الإقليمي

بالرغم من النقص الكبير في الأدبيات المتصلة بالتوترات الطائفية وأثارها على الصراعات في منطقة الإسكوا، بذلت عدة محاولات لدراسة هذه القضية. ففي عام 1999، حرر ليونارد بايندر عملاً شاملاً يتناول الصراع العرقي والسياسة الدولية في الشرق الأوسط⁽²⁸⁾، ويتضمن مجموعة واسعة من التحليلات حول مختلف الصراعات في المنطقة وأسبابها، ويركز على الانقسامات الطائفية.

وصدرت كذلك منشورات تتناول حالات بلدان معينة. ومن هذه المنشورات تحليلاً أعده ثيودور هانف في عام 2007⁽²⁹⁾ حول الآراء والمواقف اللبنانية تجاه العيش المشترك، وتتناوله هذه الدراسة بالتفصيل؛ وتقرير صدر عن معهد بروكنغز حول الانقسامات الطائفية في العراق يتضمن نظرة تحليلية ثاقبة في أسباب التوترات الطائفية والصراعات في ذلك البلد، وذلك في سياق مشروعه مع جامعة برن بشأن النزوح واللجوء الدوليين⁽³⁰⁾.

وتناول تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2009، الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الحالة الراهنة لأمن الإنسان في البلدان العربية. ويعرف أمن الإنسان بأنه "تحرر الإنسان من التهديدات الشديدة، والمنتشرة والممتدة زمنياً وواسعة النطاق التي تتعرض لها حياته وحرية"⁽³¹⁾. ويشير الفصل الثالث من التقرير وعنوانه "الدولة العربية وأمن الإنسان - الأداء والآفاق" إلى أن

من حقوق إنسانية أو نزاعات حول المشاركة السياسية، أو حالات ضيم طال أمدها تتعلق بتوزيع الأرض أو غير ذلك من الموارد"⁽²³⁾. ويشدد التقرير كذلك على أن "الأنشطة الرامية إلى منع نشوب الصراعات وتحقيق التنمية المستدامة والمنصفة أنشطة يعزز بعضها بعضاً"⁽²⁴⁾، وهو مبدأ أكدته مؤتمر القمة العالمي مجدداً في عام 2005. وفي هذا التقرير، وفيما يتعلق بمنطقة الإسكوا خصوصاً، دعا الأمين العام إلى "مشاركة المجلس الاقتصادي والاجتماعي مشاركة أنشطة في منع نشوب الصراع المسلح، خاصة وأن الدور الحاسم الذي يضطلع به في التصدي للأسباب الجذرية لنشوب الصراعات يقع في صميم ولايته"⁽²⁵⁾.

ويولي النهج الوقائي الذي تعتمده الأمم المتحدة اهتماماً خاصاً لمرحلة ما بعد الصراع، لأن هذه المرحلة هي الفترة الحاسمة للخروج من دوامة العنف. ويقدم الأمين العام للأمم المتحدة في تقريره الصادر في عام 2009 حول بناء السلام في المرحلة التي تعقب مباشرة انتهاء النزاع⁽²⁶⁾ المشورة حول كيفية دعم الجهود الوطنية لضمان استدامة السلام بسرعة وفعالية. فعندما يكون البلد مقسماً بفعل النزاعات الطائفية، يصبح تحقيق المصالحة الوطنية من الأولويات. ومن هذا المنطلق، أعلنت الجمعية العامة عام 2009 السنة الدولية للمصالحة، مشددة على أن "عمليات المصالحة ضرورية وملحة بوجه خاص في بلدان ومناطق العالم التي عانت أو لا تزال تعاني من حالات صراع أضرت، بمختلف جوانبها الداخلية والوطنية والدولية، بالمجتمعات وأدت إلى انقسامها"، وأن هذه العمليات "تعد ضرورة وشرطاً لإقرار سلام وطيء ودائم"⁽²⁷⁾.

وقد أصبح اليوم، من الضروري أكثر من أي وقت مضى، أن تركز الأمم المتحدة على التوترات الطائفية، ليس باعتبارها قضية من قضايا حقوق الإنسان فحسب، بل باعتبارها سبباً جوهرياً من أسباب النزاعات. فالواقع أن

Binder, (ed.) L. 1999. *Ethnic Conflict and International Politics in the Middle East*. Florida Press University.

Hanf, T. 2007. *E pluribus unum? Lebanese opinions and attitudes on coexistence: Letters from Byblos, No. 14*. Lebanon: UNESCO, International Centre for Human Sciences and Friedrich-Ebert-Stiftung.

Al-Khalidi, A. and Tanner, V. 2006. *Sectarian Violence: Radical Groups Drive Internal Displacement in Iraq*. The Brookings Bern Project on Internal Displacement. *Brookings*. 3 December.

(31) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2009، مرجع ذكر سابقاً.

(23) الأمم المتحدة، تقرير الأمين العام بشأن منع نشوب الصراعات المسلحة، A/55/985-S/2001/574، حزيران/يونيو 2001.

(24) المرجع نفسه.

(25) المرجع نفسه.

(26) الأمم المتحدة، تقرير الأمين العام بشأن بناء السلام في المرحلة التي تعقب مباشرة انتهاء النزاع، A/63/881-S/2009/304، 11 حزيران/يونيو 2009.

(27) الأمم المتحدة، الجمعية العامة، القرار 17/61، السنة الدولية للمصالحة، 2009، A/RES/61/17، 23 كانون الثاني/يناير 2007.

بالوسائل السلمية ومن دون تدخل الدولة أمر ممكن بلا أدنى شك في البيئات التي يسود فيها الوعي المدني. غير أن التقرير الذي يطرح أمثلة السودان والصومال والعراق ولبنان يشير إلى أنه يمكن ربط الفوارق العرقية والدينية والطائفية واللغوية بالصراعات الجماعية المستمرة، والتي تُثار فيها الحساسيات العرقية والدينية والقبلية من أجل تعبئة الجماعات: لقد "أفضى هذا الحشد والتجبيش إلى آثار مدمرة ومزعزعة للاستقرار، انتقصت من أمن الإنسان وسلامة الدول على حد سواء"⁽³⁴⁾.

"الخطوة الأولى للتعامل مع قضية التنوع- وهو ما بدأتها عدة بلدان عربية- هي اعتماد وتطبيق مفهوم المواطنة في ظل القانون وواقع الممارسة"⁽³²⁾. ويتناول تقرير التنمية الإنسانية العربية مسألة المواطنة، لا يقتصر على العلاقة العمودية بين المواطن والدولة فحسب، بل على العلاقة الأفقية فيما بين المواطنين أيضاً. "فإن يكون المرء مواطناً يعني، بالضرورة، أن يكون له أقران مواطنون، بكل ما يتضمنه ذلك من مسؤوليات وتفاعلات وتسويات هي في صلب "السلوك المدني"، مثل التعاون والعيش المشترك وحسن الجوار"⁽³³⁾. ويؤكد التقرير أن تسوية النزاعات

(32) المرجع نفسه.

(33) المرجع نفسه.

(34) المرجع نفسه.

ثالثاً- عرض لأسباب النزاعات الطائفية

ومتماسك يصف أسباب الصراعات الأهلية والطائفية. وبالرغم من ذلك، ولغرض هذه الدراسة، ينبغي تنظيم هذه الأسباب أو العوامل في مصفوفة تقع في أربع مجموعات رئيسية ومتراصة، هي:

- 1- العوامل الاجتماعية والاقتصادية.
- 2- العوامل السياسية والملتصدة بتركيبة الدولة.
- 3- العوامل الثقافية.
- 4- العوامل الخارجية.

والبحث في كل من هذه العوامل على حدة لن يعطي فكرة وافية عن تاريخ الصراع ونشأته، ولن يؤدي أيضاً إلى وصف الأثر الذي يحتمل أن ينتج من كل عامل نتيجة لتفاعله مع العوامل الأخرى.

1- تكون العوامل الاجتماعية والاقتصادية مصدراً لتأجيج الصراعات في ظل انعدام المساواة بين الطوائف، والنظم الاقتصادية التي تنطوي على تمييز هي أساس الفوارق الأفقية⁽³⁸⁾. وهذا التمييز يولد شعوراً بالإجحاف والظلم⁽³⁹⁾. وفي حالة التاميل والسنهاليين، والانقسامات بين مختلف الجماعات في سري لانكا، والانقسامات العرقية بين الهوتو والتوتسي في رواندا وبوروندي ما يدعم هذا المنطق. وفي موازاة ذلك، يمكن أن يؤدي تقسيم العمل على أساس طائفي إلى تعميق الانقسامات، وأن ينمي بذور الصراعات. وفي الكثير من المجتمعات المتعددة الطوائف، يلاحظ تركيز جماعات معينة بأعداد كبيرة في قطاعات اقتصادية محددة⁽⁴⁰⁾. وكثيراً ما يكون للعوامل الخارجية دور هام في نشوء هذه الظاهرة. وقد تعززت في ظل سياسة الاستعمار، إذ كان المستعمرون يفضلون استخدام أفراد جماعة إثنية معينة على أخرى بقدر ما يستفيدون من خدماتها. وفي حالات رواندا والعراق وفيجي وماليزيا ما يكفي من الأدلة البليغة التي تدعم هذه الحجة.

ويؤدي انعدام المساواة، في التعليم مثلاً، إلى تعميق التفاوت الاقتصادي، وإلى استمرار تقسيم العمل على

تناولت مجموعة كبيرة من الأدبيات الأكاديمية، ولا سيما في العقد الأخير من القرن الماضي وحتى العقد الأول من هذا القرن، ديناميات الصراعات الطائفية، وعددًا من ظواهر التضامن الجماعي والتعبئة المجتمعية والتفاعل بين الجماعات. وفي تنوع هذه الأدبيات وكثرتها ما يدل على مدى تعقيد هذه الظاهرة. وتجري محاولات لوضع تصور نظري لهذه الظاهرة بهدف إيجاد تفسيرات لها داخل النسيج الاجتماعي للجماعات. ومن أبرز هذه التفسيرات اكتساب الانتماء إلى الجماعة عند الولادة، والاختلاط الاجتماعي في فترة لاحقة، ومن ثم الشعور بالهوية المشتركة من خلال التقاليد الثقافية واللغة والدين والتراث. وتتعرض هذه الهوية عن طريق العلاقات الاجتماعية بين من تجمعهم صلة الرحم أو العيش المشترك أو صلات مماثلة أخرى تكون في معظمها ثابتة. وتطرح نُهج أخرى نظريات مختلفة حول تشكيل الفئات الاجتماعية وبروز الهويات الطائفية في ردة فعل على الظروف الاقتصادية والسياسية التي هي بطبيعتها ظروف معرضة للتقلب والتغير مع مرور الزمن⁽³⁵⁾. وقد تؤثر الأحداث التاريخية إلى حد بعيد في تعزيز الشعور بالهوية الطائفية لدى جماعة معينة، أو حتى في توليد هذا الشعور. وقد تتجج الجهات الفاعلة السياسية، التي غالباً ما تسعى إلى خدمة مصالحها الخاصة، في استغلال هذا الشعور أو حتى تأجيجه⁽³⁶⁾. كما أن الهويات الجماعية تحدد ملامح العلاقات، لا سيما من خلال تثبيت الانتماء أو تأكيده أو إنكاره، وطريقة التعاطي مع أفراد الجماعات الأخرى ومع تلك الجماعات⁽³⁷⁾.

ولكل صراع خصوصياته وأسبابه، ولكل صراع زمان ومكان، وربما جذور كثيراً ما ترقى إلى صراعات سابقة قد وقعت في الماضي البعيد الذي يظلّ أحياناً حاضراً في أذهان المتصارعين، أو اندلعت في أماكن لم تعد موجودة على الخارطة الجغرافية.

وفي ضوء تنوع مكونات الصراعات الفردية وتعقيد الديناميات الإجرائية المتشابكة التي تحكم تفاعل هذه المكونات، يبدو من الصعب وضع إطار أو نموذج شامل

Stewart, F. 2002. Root causes of violent conflict (38) in developing countries. *British Medical Journal*. 324: 342-345.

Brown, M. 1996. (ed.) Internal Conflict and (39) International Action in *The International Dimensions of Internal Conflict*. Cambridge, Massachusetts: MIT Press.

.Horowitz, 1985 (40)

Horowitz, D. L. 1985. *Ethnic Groups in* (35) *Conflict*. Berkeley: University of California Press.

Brass, P. R. 1997. *Theft of an idol: Text and* (36) *context in the representation of collective violence*. New Jersey: Princeton University Press.

Taylor, G. and Spencer, S. (eds.) 2004. *Social* (37) *Identities: Multidisciplinary Approaches*. London: Rutledge.

لنفسها وللجماعات الأخرى⁽⁴⁴⁾، بصرف النظر عما إذا كانت هذه الملامح حقيقية أو مزيفة. ومن الأمثلة على ذلك نشر كراهية الآخر. وهذا يحدث عن طريق التراث المحكي والثقافة الشعبية لدى جماعة معينة، ويستخدم لتعبئة أفرادها. ويؤدي التذكير بحقب القهر والظلم، وحكايات الشهداء وصور الأبطال إلى الحفاظ على الذاكرة الجماعية وإلى تعبئة أعضاء الجماعات.

ومع ذلك، ليست الهوية الجماعية القوية، سواء كانت طائفية أم قبلية أم قومية، سبباً حتمياً للصراع والتوتر. فالتاريخ حافل بنماذج عن العيش السلمي والمشارك بين جماعات ذات هوية جماعية قوية، وأي خلافات نشبت بينها كانت مجرد أحداث استثنائية طارئة⁽⁴⁵⁾. وعندما تعمد الجهات السياسية الفاعلة إلى استبعاد هذه الجماعات وتجييش أخرى بقصد كسب الدعم السياسي، يدفع الإحساس القوي بالهوية الجماعية إلى تكوين الاصطفافات، ويسهل عملية تأجيج مشاعر العدا.

4- أما العوامل الخارجية فهي القوى التي تسهم في الصراع من خارج حدود الدولة. وكثيراً ما يبدأ التدخل الخارجي من الدول الأجنبية انطلاقاً من مصالح الاستراتيجية وسعيها إلى مكاسب إقليمية أو اقتصادية أو عسكرية⁽⁴⁶⁾. وفي معظم الأحيان، يتسبب هذا النوع من التدخلات الخارجية بإذكاء الصراعات، وهذا ما قد يحدث أيضاً على أثر التدخلات التي يكون الهدف المعلن منها إحلال السلم والعمل على استتبابه. ويمكن أن يكون التدخل الخارجي مباشراً، عن طريق تقديم الدعم العسكري أو المالي، أو غير مباشر، عن طريق عرقلة التوصل إلى تسوية سلمية.

وفي بعض الحالات، يكون التدخل الخارجي لدعم جماعة في دولة النزاع تنتمي إلى نفس الهوية الإثنية أو القومية، وذلك عندما تتوزع جماعات من الهوية نفسها في بلدان مختلفة. ويشير كريستيان غلديتش إلى أن البحوث الجارية تثبت أن الدافع إلى التدخلات الخارجية في الصراعات كثيراً ما يكون الرغبة في دعم أبناء العرق الواحد في بلدان مختلفة، وأن الجاليات الإثنية والمهاجرة

أساس طائفي. وتتعاظم مشاعر الاستياء داخل الجماعات المحرومة التي ترى نفسها أسيرة أوضاع لا قدرة لها على تحسينها. وهكذا يتجمع أفراد الجماعة الواحدة معاً، على نحو يعزز الانقسامات الطائفية.

2- يعدّ التمثيل السياسي وطبيعة تركيبة الدولة من الأسباب الرئيسية للصراع. وكثيراً ما يكون سوء تمثيل الجماعات والطوائف المحرك الرئيسي للنزعة الطائفية، التي تتأجج إذا لم ينجح النظام السياسي في تمثيل جميع الطوائف بالتساوي⁽⁴¹⁾. ويزداد الوضع تعقيداً عندما يصوت أفراد جماعات معينة لصالح قادتهم أو يتبعونهم انطلاقاً من اعتبارات الانتماء الطائفي، وليس التزاماً بقضايا اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها⁽⁴²⁾. وعلى هذا النحو، يمكن أن تصبح الممارسات السياسية مصدرراً للتوترات والصراعات إذا ما كانت الإيديولوجيات والاستراتيجيات المعتمدة لا تركز سوى على الدوائر الانتخابية المقسمة حسب الطوائف. وفي تلك الحالات، تحاول بعض الطوائف أن تسيطر على معظم مقدرات السلطة السياسية، في حين تحاول الجماعات الأخرى إيجاد موقع لها في الاقتصاد والسياسة. وإذا لم يتسن لها ذلك عبر النظام السياسي، فيحتمل أن تلجأ هذه الجماعات إلى العنف. وعندما تضعف سلطة الدولة ومؤسساتها يصبح اندلاع الصراعات العنيفة أمراً شبه محتوم، إذ تدخل الطوائف في الفراغ الذي يحدثه ضعف الدولة⁽⁴³⁾. وفي حالات بلدان عديدة من جنوب آسيا وأفريقيا والبلقان ما يدلّ بوضوح كيف يمكن للعداوات الطائفية إضعاف الدولة وإثارة دوامة لا تنتهي من التفكك، وذلك بسبب تمكّن الطوائف النافذة من تجاوز مؤسسات الدولة وتقويض الولاء لها والمساءلة أمامها. ثم تحاول هذه الطوائف أن تحل محل مؤسسات الدولة، مما يمعن في تراجعها وإضعاف مصداقيتها.

3- تُستخدم سياسة الهوية الثقافية الجماعية في أحيان كثيرة لتكريس الانقسامات والصراعات بين الجماعات. ويحدث ذلك عن طريق تحريف التراث الثقافي حفاظاً على معالم معينة من تاريخ الجماعات وعلى صورة تريدها

Gugler, J. (ed.) 1997. *Cities in the Developing World: Issues, Theory, and Policy*. Oxford and New York: Oxford University Press. (41)

Bookman, M. 2002. *Ethnic Groups in Motion: Economic Competition and Migration in Multi-Ethnic States*. London: Frank Cass Publishers. (42)

Brown, M. 1996. (ed.) *Internal Conflict and International Action in The International Dimensions of Internal Conflict*. Cambridge, Massachusetts: MIT Press. (43)

(44) المرجع نفسه.

Fearon, J. and Laitin, D. 1996. Explaining Interethnic Cooperation. *American Political Science Review*. 90 (4): 715-735. (45)

Esman, M. J. and Telhami, S. (eds.) 1995. *International Organizations and Ethnic Conflict*. Ithaca: Cornell University Press. (46)

وهؤلاء متخصصون حيناً في ترسيخ الروابط بين المجموعات والشبكات وحيناً في تفكيكها. هم يتولون التنسيق، أي تنظيم العمل المشترك، ومهمتهم تمثيل الآخرين⁽⁴⁹⁾. هم أفراد يتخذون الخطوات اللازمة والمتعمدة لإشعال صراع عنيف، استغلالاً لوضع معين أو سعياً إلى تحقيق مكسب معين عبر استغلال علاقتهم بالسلطة الجديدة⁽⁵⁰⁾. ولا تحجب طبيعتهم الاستغلالية الصورة التي يرسمونها لأنفسهم كمدافعين عن جماعاتهم وطوائفهم. فهم يصبحون الزعماء والقادة الأقوياء الذين يدافعون عن الطائفة والحي والوطن.

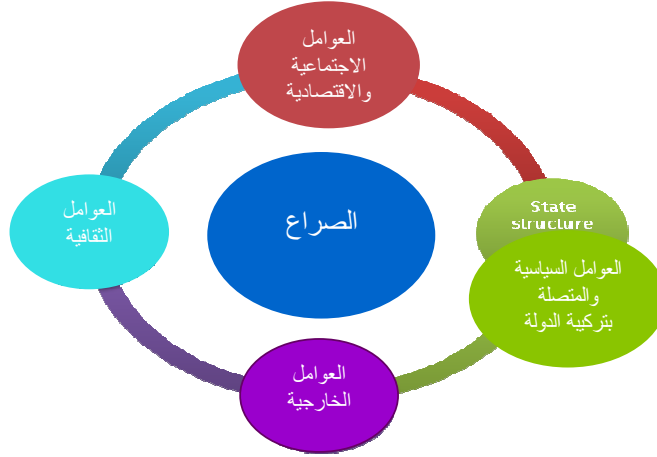
وتقدم مصفوفة الأسباب المذكورة آنفاً لمحة عامة عن العوامل الكلية الذي قد تشعل الصراعات الطائفية. وينبغي كذلك تسليط الضوء على العوامل الجزئية الأخرى لإدراك أسباب التوترات والعداوات والصراعات الطائفية، لا سيما العوامل التي قد تحول التوتر إلى دوامة من الصراع والعنف، والتي ترتبط بالحياة اليومية، مثل طبيعة العلاقات الاجتماعية والاجتماعية-المكانية بين أبناء الطوائف المختلفة.

في بلدان أخرى تؤدي دوراً هاماً في تعبئة حركات التمرد وتمويلها⁽⁴⁷⁾.

ومن هنا أهمية وضع مصفوفة بأسباب الصراعات الطائفية لفهم هذه الأسباب جيداً. وحسب هذه المصفوفة، تخلق التباينات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الأفقية شعوراً بالإجحاف لدى طائفة واحدة أو عدة طوائف، يؤدي إلى التوتر والاحتجاج. وكثيراً ما يستخدم الزعماء وأصحاب المشاريع السياسية التمايزات الثقافية كأداة للتعبيئة. وإذا لم تتمكن مؤسسات الدولة من معالجة هموم المحتجين، فستتصاعد التوترات وترسخ الانقسامات. وتؤدي العوامل الخارجية إلى تفاقم الصراع كذلك. ومن الأمثلة على ذلك تدخل الدول المجاورة بشكل مباشر أو غير مباشر في النزاعات، وذلك عن طريق تقديم الدعم السياسي والعسكري لجماعات دون أخرى.

ولأصحاب المشاريع السياسية الذين يحاولون تعبئة مجتمعاتهم وجماعاتهم ضد الآخرين دور رئيسي أيضاً في إشعال النزاعات. ويصف تشارلز تيلي هؤلاء بأنهم سياسيون يتخصصون حيناً في إيقاظ الروابط والحكايات والعلاقات وحيناً في إخمادها⁽⁴⁸⁾.

الشكل 1- مصفوفة أسباب النزاعات العرقية-الطائفية



(49) المرجع نفسه، ص 34.

Giustozzi, A. 2005. The Debate on Warlordism: (50) The Importance of Military Legitimacy. *Crisis States Discussion Papers, No. 13*. Crisis States Research Centre. London: London School of Economics and Political Science. P. 10.

Gleditsch, K. S. 2007. Transnational (47) Dimensions of Civil War in *Journal of Peace Research*. 44: 293-309. Essex: University of Essex. P. 297.

Tilly, C. 2003. *The politics of collective (48) violence*. Cambridge: Cambridge University Press. P. 34.

رابعاً- فهم ديناميات التوترات الطائفية بين الشباب

الرابط المعرفي والأخلاقي والعاطفي بين الفرد والمجتمع أو الفئة أو الممارسة أو المؤسسة الأوسع. وهي تصور لحالة أو علاقة مشتركة يمكن تخيلها بدلاً من اختبارها، وهي تتميز عن الهوية الشخصية مع أنها قد تشكل جزءاً منها⁽⁵²⁾. والهوية الجماعية هي فئة اجتماعية إما يفتخر بها الأفراد الذين ينتمون إليها، وإما يشعرون بأنها سمة اجتماعية موروثية لا تتغير⁽⁵³⁾. غير أن أمارتيا سين أكد عن حق أن قوة الهويات في طبيعتها الجماعية، وأن أهمية هوية معينة تستدعي حجب أهمية الهويات الأخرى⁽⁵⁴⁾. ولدى كل فرد مجموعة من الهويات المختلفة والمتشعبة، يستمد بعضها من الانتماء إلى فئات محددة بوضوح، مثل هوية الطالب أو المدرس، في حين ينشأ بعضها الآخر من الانتماء إلى فئات اجتماعية مجردة وإلى حد ما مفترضة مثل الهوية العربية. ويتوقف النقص الذي يعطى لهوية ما على هوية أخرى على رأي الفرد بالمجموعة التي تحمل هذه الهوية، والذي يتوقف بدوره على المجال الاجتماعي الذي تتكون فيه هذه الهويات ويعاد تكوينها.

ومن الطبيعي أن تبدو الهوية الجماعية للمشاركين في حلقات النقاش متعددة ومتنوعة الأوجه ومتشعبة. فهي هوية فئة عمرية صغيرة السن (مثل الطلاب الجامعيين) ذات انتماء عائلي أو مناطقي (انتماء إلى بعلبك أو بيروت أو زغرتا أو الشوف أو عكار مثلاً)، أو طائفي (انتماء إلى الطائفة المارونية أو السنية أو الشيعية مثلاً)، أو ديني (انتماء إلى الدين الإسلامي أو المسيحي أو الدرزي مثلاً)، أو وطني (انتماء إلى لبنان). ومما يدعو للتساؤل أن حلقات النقاش بالكاد تطرقت إلى الهويات التي كانت سائدة قبل الحرب الأهلية، والتي كانت تنصدر المناقشات الفكرية والسياسية إبان تكوين لبنان الحديث في العشرينات والثلاثينات وعشية الحرب الأهلية في السبعينات. فالمناقشات لم تأت على ذكر الهوية الفينيقية مقابل الهوية العربية، مثلاً، إلا نادراً جداً. وفي ذلك دلالة على الطبيعة الديناميكية لتكوين الهوية وإعادة تكوينها.

ألف- ديناميات التوترات الطائفية

بعد أن عرض الفصل السابق العوامل الكلية المسببة للصراعات الطائفية، يتوسع هذا الفصل في تناول ديناميات التوترات والعداوات والصراعات الطائفية، من خلال استخدام لبنان كدراسة حالة. ولهذا الغرض، سيجري تحليل المناقشات التي دارت مع شباب تراوح أعمارهم بين 18 و25 سنة في إطار سلسلة من حلقات النقاش.

ويركز التحليل على ما يمكن تسميته بالعوامل الجزئية، التي تتعلق بمفاهيم الأفراد وتجاربهم اليومية، وتوضح العمليات التي توجب التوترات الطائفية. ويأتي هذا التحليل، الذي يستند إلى حلقات النقاش، في فترة وصل خلالها الاستقطاب والعداء الطائفيان في لبنان إلى مستويات لا سابق لها منذ نهاية الحرب الأهلية في عام 1990، عرضت البلد لخطر الفتنة الأهلية من جراء تصاعد حدة التوتر، لا سيما في المرحلة التي تلت شباط/فبراير 2005.

ويتناول هذا الفصل أربعة عناصر أساسية تُعتبر في الدراسة جزءاً لا يتجزأ من الأسباب الجوهرية للتوترات الطائفية القائمة، وهي:

- 1- إعادة إنتاج الهويات الطائفية.
- 2- تجزئة العلاقات الاجتماعية بين الطوائف.
- 3- الفضاءات الاجتماعية الإقصائية.
- 4- الطبيعة الزبانية للنظام السياسي.

باء- تحليل التوترات الطائفية بناء على سلسلة من حلقات النقاش

1- التمسك بالهوية الطائفية

يرى تابلور وسينسر أن الهوية هي عملية متواصلة، مساحة تفاوض مع الآخرين، عمل يجري تقييمه مراراً وتكراراً وباستمرار، وثيقة الارتباط بانتشار المعاني الثقافية في المجتمع⁽⁵¹⁾. وتُعرف الهوية الجماعية بأنها

Polletta, F. and Jasper, J. 2001. Collective (52) Identity and Social Movements. *Annual Review of Sociology*. 27 (1): 283-305. New York: Columbia University Press.

Fearon, J. and Laitin, D. 2000. Violence and the (53) Social Construction of Ethnic Identity. *International Organization*. 54(4): 845-877. Cambridge.

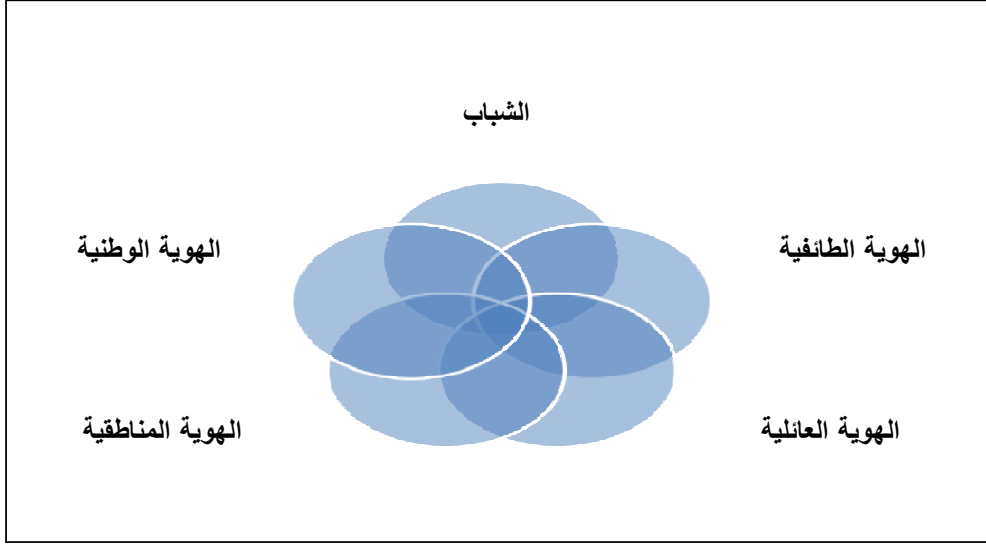
Sen, A. K. 2006. *Identity and Violence: The (54) Illusion of Destiny*. New York: W. W. Norton & Company Inc. P. 19.

.Taylor and Spencer, 2004, p. 4 (51)

الهويات الأخرى، مثل الانتماء العائلي أو المناطقي. ولم يكن من السهل على المشاركين في حلقات النقاش شرح هذا الأمر، إلا أنه يتصل بالدور الذي تضطلع به الطائفة في النظام السياسي. وفي هذا الصدد، قال أحد المشاركين: "إذا كانت طائفتي بخير، فمنطقتي وعائلتي ستكونان بخير كذلك - والعكس صحيح".

ولا تلغي هويات الشباب اللبناني، التي تناولتها المناقشات، بعضها بعضاً، وينبغي النظر إليها باعتبارها سلسلة متصلة وفي معظم الأحيان متشابكة من الهويات (انظر الشكل 2). وكثيراً ما تكون هذه الهويات موصولة ببعضها، وإن بدرجات متفاوتة. وبالرغم من أن الهويات الجماعية المختلطة هي السائدة في جميع المجتمعات تقريباً، يبدو أن البعد الطائفي يتفوق في حالة الشباب اللبناني على

الشكل 2 - الهويات المتشابكة



ثانياً، الشعور الجماعي بالظلم وبالوقوع ضحية للأذى. وفي هذه الحالة، يكتسب التفكير الجماعي بالعدالة المشوهة تاريخياً وبالظلم الجماعي أهمية بالغة في بناء الهوية الجماعية. وأشار مايكل هدسون قبل الحرب الأهلية إلى أن قوة الهويات الجماعية الطائفية في لبنان تنبع من الاختلافات العقائدية التاريخية وذكريات الظلم من البعيد والقريب⁽⁵⁶⁾. ويبدو أن هذه الظاهرة لا تزال مستمرة حتى اليوم. وقد أعرب المشاركون في حلقة النقاش عن رأيهم بوضوح، وكل على طريقته، في "المكانة الضعيفة" التي تحتلها طائفته وفي شعورها بـ "التهميش" و"الحرمان". وكان الجميع تقريباً يفكرون بهذه الطريقة. فالآخرون هم دائماً "الأكثر حظوة" و"الأفضل حالاً" والمتحكمون في الموارد والسلطة. وغالباً ما يترافق الشعور بالظلم الجماعي مع الشعور بالخوف من التعرض للإلغاء على يد الآخرين. فالمشاركون من إحدى الطوائف الكبرى في

يظهر البعد الطائفي لهويات معظم المشاركين بوضوح عبر ثلاث ظواهر واضحة ومتراصة:

أولاً، تفشّي التوترات وانعدام الاستقرار في لبنان، خصوصاً في ضوء طبيعة العلاقات ضمن الهويات الجماعية، حيث ينظر إلى المنافسة بيننا "نحن"، ضمن أفراد الجماعة الواحدة، من منظور تثبيت موقعنا أمام "الآخرين" الخارج الجماعة. ويكتسب هذا الجانب من العلاقات في الهوية الطائفية أهمية أكبر حيث التوترات والصراعات، كما هو الحال في لبنان في الوقت الراهن، إذ يشكل العداء الذي يكتنه فريق معين تجاه الفريق الآخر أساساً لتوثيق التضامن ضمن كل جماعة. وقد أكد غيورغ سيمل هذه الظاهرة في عمله الريادي حول الصراعات، مشيراً إلى أن حالة الصراع تقرب أفراد الجماعة الواحدة وتبني بينهم أواصر وثيقة، يخضعون معها لشعور جامح، فإما التماسي التام مع الآخرين وإما النفور التام⁽⁵⁵⁾.

Hudson, M. 1968. *The Precarious Republic: (56) Political Modernization in Lebanon*. New York: Random House. P. 25.

Simmel, G. 1955. *Type and Fluctuation of (55) Social Conflict*, translated by K. Wolf. Glencoe, Illinois: The Free Press. P. 92.

الجبل في عام 1983 بين الميليشيات المسلحة المسيحية والدرزية، والتي ارتكب فيها كل من الجانبين الكثير من الجرائم بحق المدنيين، هي عنصر أساسي في تشكيل الوعي الجماعي، بصرف النظر عن التحالفات السياسية الحالية. وقال أحد المشاركين من جبل لبنان صراحة: "لقد قتلوا منا الكثيرين. لقد ارتكبوا الكثير من المجازر وجرائم الحرب. لا يمكننا أن ننسى ذلك أبداً". وبالنسبة إلى المسلمين السنة، كان اغتيال رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري في 14 شباط/فبراير 2005 حدثاً كبيراً أثر على الوعي الجماعي للمجتمع السني، واعتُبر استهدافاً لهذه الطائفة في لبنان.

وقد تذكر المشاركون الحرب الأصلية بطرق مختلفة، واستخدموا ذكريات الحرب على نحو انتقائي. فلم يذكروا سوى الأحداث الهامة بالنسبة إليهم، الأحداث التي يرون فيها محطات تاريخية مرجعية، تصب في صالحهم وتدعم مزاعمهم أو حججهم. وسرد المشاركون قصة الحرب كل على طريقته، بأسلوب يدعم رؤيته، والأهم أنه يغذي في إحساسه بأنه ضحية. "فمن غير إيجاد حل يعالج الشعور بدور الضحية، لا سبيل للتكيف أو المصالحة، بل تتكرر الأفكار والممارسات النمطية. وقد تساهم إعادة إحياء الشعور بالخسارة من الماضي في تكريس الخطاب الذي يوجب العنف القومي/الاثني"⁽⁵⁷⁾. وهكذا تصبح الذاكرة الاجتماعية الجماعية للأحداث التي لم يتم الانتقام لها أو الرد عليها أساساً لتشكيل الوعي الجماعي لدى فئة أو طائفة معينة. وبالتالي يجب أن ينظر إلى الشعور الجماعي بالغين في هذا الإطار على أنه مقارنة سياسية للذاكرة⁽⁵⁸⁾. وهذا الشعور هو صلة الوصل بين الهوية الثقافية للجماعة ومزاعمها. ونتيجة لذلك، تصبح الذاكرة أداة لرسم حدود واضحة بين "نحن" و"هم"، وذلك عن طريق استحضار صور من الماضي.

وتكشف هذه الملاحظات عن حلقة مفرغة تكاد لا تنتهي يخلفها العداء بين الطوائف. فمن ناحية إحساس جماعة معينة بالظلم وشعورها بأنها ضحية هو أرض خصبة لنمو الهوية الطائفية، وأداة لتوثيق التضامن داخل كل جماعة على أساس نزعة "النحن" الذاتية. ومن ناحية أخرى تقوى الهوية الطائفية ويتعزز التضامن داخل الجماعة عن طريق المعتقدات الراسخة لدى الجماعة والمعايير التي تعتمد عليها في تعاملها مع الجماعات الأخرى.

حلقات النقاش مثلاً أعربوا عن خوفهم من واقع أن أعضاء طائفة أخرى باتوا أكثر تنظيماً وقوة "يهدون" بالسيطرة على البلد. وتحدث المشاركون المسيحيون كذلك عن شعورهم بالـ "الغبين" و"الحرمان"، في ضوء حصول المسلمين "على كل شيء". وتحدثت فتاة مسيحية عن "سوء حالة الطرقات وغياب المدارس" في المناطق المسيحية، خلافاً للمناطق المسلمة، حيث "الناس مرتاحون ولديهم أفضل المدارس وأجمل المنازل". وأصبح التفكير في المظالم والتباينات الأفقية التي عانت منها مجموعة معينة قبل الحرب الأصلية يسيطر على الجميع من كل الطوائف. وبالرغم من أن الإحساس بشعور الضحية كثيراً ما يكون من نسج الخيال ويفتقر إلى المسوغات، إلا أن مجرد كونه ينتاب الجميع أمر مثير للقلق. فهذا الشعور يساهم في إنتاج وعي جماعي داخل كل طائفة.

ثالثاً، الذكريات المريرة للحرب الأهلية أحداث العنف السياسي. فمع أن معظم المشاركين كانوا صغار السن أو حتى لم يولدوا بعد في آخر مراحل الحرب، شغلت هذه الحرب حيزاً كبيراً في مناقشاتهم، خصوصاً عند التطرق إلى العلاقات مع الطوائف الأخرى. ونادراً ما كانت الحكايات المروية عن الحرب تتخذ طابعاً شخصياً، لأن أياً من المشاركين لم يشهداها بنفسه. غير أن قيام الشباب اللبنانيين بسرد القصص عن الحرب والعنف السياسي يدل على الصدمة الجماعية التي أصابتهم من جرائمها. وما زالت قصص من الماضي المؤلم تحتل مساحة كبيرة من الوعي الجماعي للشباب. وقد شكلت حملات الانتخابات البرلمانية في أيار/مايو 2009 مثلاً حياً على المكانة التي تحتلها الذاكرة في الخطاب السياسي للجماعات والأحزاب المختلفة. فجميع الأحزاب السياسية-الطائفية الرئيسية استخدمت ذاكرة انتقائية تجاه الحرب والعنف السياسي الكبير، بهدف خلق جو من التعاطف داخل الجماعة الواحدة، ضد حزب آخر أو جماعة أخرى. فقد كانت شعارات مثل "لن ننسى والسما زرقاء"، أو "دور أمراء الحرب السابقين خلال الحرب"، أو "تحرير جنوب لبنان من قبل المقاومة الإسلامية"، المعلقة جنباً إلى جنب مع صور السياسيين والقادة الذين تعرضوا للاغتيال، الركن الأساسي في الحملات الانتخابية.

وبالنسبة إلى المجموعة القادمة من زغرتا (زغرتا هي بلدة في شمال لبنان)، يبدو أن مجزرة إهدن، التي قتل فيها الوزير والنائب السابق طوني فرنجية وعائلته في 13 حزيران/يونيو 1978، لا تزال ماثلة في الذاكرة الجماعية لأنصار تيار المردة، خصوصاً عندما يتحدثون عن علاقاتهم مع المناطق المجاورة في بشري ومع القوات اللبنانية. ورأى بعض المشاركين الدروز أن العنف الجماعي الذي وقع في مناطق الشوف وعاليه خلال حرب

Ray, L. 1999. Memory, Trauma and Genocidal (57) Nationalism. *Sociological Research Online*. 4 (2). P. 5 P. 92.

Kenny, M. 1999. A Place for Memory: The (58) Interface between Individual and Collective History. *Comparative Studies in Society and History*. 41: 420-437. Princeton and Oxford: Princeton University Press.

سواء أكان ذلك في الجامعات أم أماكن العمل أم مراكز التسوق والترفيه.

ومع أن التفاعل الاجتماعي في المجتمع اللبناني يبدي جواً من الود بين الشباب اللبناني، سرعان ما يكشف التعمق في دراسة هذا التفاعل طبيعته المجزأة والسطحية. وبدا ذلك واضحاً في حلقات النقاش على ثلاثة مستويات، أولها درجة الثقة الاجتماعية ونوعيتها؛ ثانيها الخطاب الذي اعتمده المشاركون ورسموا فيه صورة سلبية عن الآخرين وإيجابية عن أنفسهم؛ وثالثها رفض حتى فكرة الزواج المختلط.

ولا تزال ثقة الفرد بالآخر، التي تعتمد على مدى إيمان الفرد بجداره الآخر لنيل هذه الثقة، والتي تتأثر بشبكة معقدة من العوامل الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية⁽⁶¹⁾، مسألة خاصة ومحصورة بدائرة حميمة جداً. وأشار معظم المشاركين إلى أنهم لا يتقنون بزملانهم أو معارفهم أو حتى أصدقائهم من الطوائف الأخرى، مع أنهم وصفوا علاقتهم مع البعض منهم بالوثيقة. وقد استخدم أحد المشاركين تعبيراً مجازياً، أكد فيه أنه لا يمكن أن يترك والدته أو أخته مع صديقه من الطائفة الأخرى، ولو لدقائق معدودة. ولم يتمكن المشاركون من التعبير بوضوح عن أسباب هذا الشعور بعدم الارتياح إلى الآخرين؛ فغراه بعضهم إلى تربيتهم، وإلى الاختلافات الإيديولوجية والعادات الاجتماعية التي تجعل "الآخرين" مختلفين عنا "نحن".

وتؤكد هذه النتائج ما توصلت إليه دراسات كمية سابقة أثبتت أن انعدام الثقة هو الاتجاه السائد عموماً في المجتمع اللبناني ما بعد الحرب. وتشير الدراسة التي أعدها خواجه وآخرون إلى أن 6.3 في المائة فقط من المراهقين اللبنانيين المقيمين في ثلاث مناطق محرومة من بيروت يتقنون بمعظم الناس أو بعدد كبير من الأشخاص⁽⁶²⁾. وأظهرت الدراسة أيضاً أن غالبية المراهقين لم يقوموا بأي شكل من أشكال التفاعل الفعلي مع الجيران أو الأسرة أو الأصدقاء خلال الشهر الذي سبق إعداد الدراسة⁽⁶³⁾. وفي دراسة استقصائية أجريت في عام 2006 في لبنان، يؤكد هانف أن عدم الثقة في البيئة

ونتيجة لذلك، يتطور التضامن داخل كل مجموعة ليصبح ما يطلق عليه بورترز وسنسنبرنر تسمية "التضامن الملزم"⁽⁵⁹⁾. ويؤدي تعزيز الانتماء إلى الهوية الطائفية إلى انعدام الثقة والعداء بين الطوائف، ويؤجج التوتر والصراع.

2- تجزئة العلاقات الاجتماعية بين الطوائف

يخصص هذا القسم للتعلم في الممارسات اليومية لمختلف المشاركين في حلقات النقاش، ويبحث في ديناميات العلاقات الاجتماعية بين الطوائف. فالعلاقات الاجتماعية هي عنصر أساسي في أي مجتمع، وهي التي تكون فئة اجتماعية معينة، وتشكل الفوارق بينها وبين كتل صوري للأفراد⁽⁶⁰⁾. ولكثافة التفاعل الاجتماعي وطبيعته وسياقه أهمية كبيرة في فهم نوعية العلاقات الاجتماعية. ففي المجتمعات المتعددة الطوائف والمعرضة للنزاعات، يساعد فهم هذه العلاقات في تقييم قوة العيش المشترك ودينامياته، وخصوصاً في فهم نوعية الثقة الاجتماعية ومحدداتها. ولا بد من إعادة بناء الثقة في عملية إعادة بناء المجتمعات الخارجة من الصراعات.

وتكشف حلقات النقاش عن مفارقة تنطوي عليها العلاقات الاجتماعية في المجتمعات المتعددة الطوائف مثل لبنان. وتتبع هذه المفارقة من طبيعة العلاقات الاجتماعية، وحيث يتضح أن المشاركين، يختلطون مع غيرهم في المجتمع ويتفاعلون مع أفراد الطوائف المختلفة، على غرار سائر اللبنانيين، غير أن هذا الاختلاط لا يصل إلى حد محو المخاوف التي يكنها البعض حيال البعض الآخر. وتبدو العلاقات الاجتماعية مجزأة بأشكال مختلفة ودرجات متباينة. ويتوقف تكوين هذه العلاقات وقوتها وتجانسها على الجو الذي تنشأ فيه العلاقة والمعنى الذي يعطى لها. ففي حرم الجامعات ومعاهد التعليم العالي مثلاً، يختلط الطلاب ويتفاعلون مع بعضهم البعض يومياً. وفي هذا الجو، تنشأ علاقات ودية وتدور مناقشات سياسية، حتى وإن كانت محتدمة أحياناً. وفي مكان العمل، وفي جو الأعمال التجارية، يسود جو من اللياقة على التعامل مع الآخرين، كثيراً ما تكون المصالح هي المحرك الأساسي له. وأعرّب المشاركون في الحلقات بوضوح عن عدم انزعاجهم من أبناء الطوائف الأخرى في الأماكن العامة،

Leigh, A. 2006. Trust, Inequality and Ethnic Heterogeneity. *The Economic Record*. 82 (258): 268-280. Queensland: The Economic Society of Australia.

Khawaja, M., Abdelrahim, S., Afifi Soweid, R. and Karam D. 2006. Distrust, social fragmentation and adolescent health in the outer city: Beirut and beyond. *Social Science and Medicine*. 63: 1304-1315. P. 4.

(63) المرجع نفسه، ص 4.

Portes, A. and Sensenbrenner, J. 1993. (59) Embeddedness and Immigration: Notes on the social determinants of economic action. *American Journal of Sociology*. 98 (6):1320-1350.

Sorokin, P. 1937. Fluctuation of Social Relationships, War, and Revolution. *Social and Cultural Dynamics, Volume 3*. New York: American Book Company.

3- فضاءات وأماكن العلاقات الاجتماعية: الأماكن "العامة" مقابل الفضاءات "المحصورة"

تُترجم الطبيعة المجزأة للعلاقات الاجتماعية بين الطوائف بكل وضوح على مستوى الأماكن. وكما أوضحت ماسي، يجب البدء بتصوير الفضاء باعتباره مجموعة معقدة من العلاقات الاجتماعية المتفاعلة، وكذلك الاعتراف بأن الفئات الاجتماعية وكذلك الأفراد يسعون باستمرار إلى ترسيم حدود مجالهم الجغرافي، وإعلان ملكيتهم لمساحات معينة ضمن هذا الفراغ المعقد والمفتوح واستقبال أشخاص معينين ضمن مناطق محددة واستبعاد أشخاص آخرين منها⁽⁶⁵⁾.

وأظهرت المناقشات أن الشباب، رجالاً ونساءً، يميزون بوضوح بين مختلف أنواع الأماكن، وذلك حسب استخداماتها. وتتشابه المساحات الجغرافية مع المساحات الاجتماعية، حسب المعاني المسندة إليها.

وتُستخدم بعض المساحات للترفيه أو للتسوق أو العمل أو الدراسة. وتسمح هذه المساحات العامة بالاختلاط الاجتماعي، ويتقبل الجميع فكرة أنها أماكن غير متجانسة. ويرى المشاركون أنه يمكن تسمية هذه الأماكن بالمساحات "غير المهمة" والتي لا تحمل أي مغزى سياسي أو طائفي يتجاوز وظيفتها من التسوق والترفيه والعمل. ومن هنا، لا يحمل اختيار مكان التسوق أو المقهى أو النادي الليلي عادة أي مدلولات طائفية أو سياسية. وينبع هذا الرأي من المنطق الذي يوازن بين جودة المنتجات وكلفتها. فقد زار بعض المشاركين مثلاً ضاحية بيروت الجنوبية لغرض التسوق، وذلك بغض النظر عن خلفيتهم الطائفية، لأنها توفر سلعاً وخدمات أقل كلفة من غيرها. كذلك، يقصد الكثيرون أماكن ترفيه معينة بناءً على السمعة الجيدة لخدماتها. وكانت المناطق في شرق بيروت وضواحيها الوجهة المفضلة للكثير من الشباب الباحثين عن الاستمتاع والترفيه، وقد حظيت بشعبية كبيرة بين المشاركين على اختلاف طوائفهم. وكانت سمعة هذه الأماكن، حيث يتوفر المرح والكحول، العامل الأساسي في منطق الذهاب إليها.

لكن عندما أصبح الأمر يرتبط باختيار الشباب مكاناً للإقامة، يصبح العيش في مناطق أو أحياء مختلطة طائفيًا أمراً غير مألوف ولا مقبول من وجهة نظرهم. فقد أجاب

الاجتماعية بلغ مستويات مرتفعة، هي 84 في المائة من المجيبين، بعد أن كانت هذه النسبة 78 في المائة فقط في عام 2002⁽⁶⁴⁾. ومع أن مستويات انعدام الثقة متشابهة لدى جميع الطوائف، تبقى الأعلى في جنوب لبنان، تليها الأحياء في الأشرفية، ومن ثم بعض المناطق في ضاحية بيروت الجنوبية. ويكشف الاستطلاع الذي قام به هانف أن معظم اللبنانيين يلجأون إلى حلقات مغلقة من الأصدقاء وأفراد الأسرة الذين يتقنون بهم. فقد أفاد 94 في المائة من المجيبين أنهم لا يتقنون سوى بالأقارب المقربين، في حين أكد 71 في المائة أنهم يتقنون بأصدقائهم المقربين أيضاً.

وتبرز الطبيعة المجزأة للتفاعل الاجتماعي بين الطوائف عبر الخطابات التي ترسم صورة سلبية عن الآخرين وإيجابية عن الذات. ويبدو أن الصياغة الجماعية لهذه الخطابات نابعة من الصورة النمطية السلبية المكونة عن أبناء الطوائف الأخرى. ولم يخجل المشاركون من السخرية من الطوائف الأخرى في بعض الأحيان. وتضمنت التسميات التي استخدمها المشاركون لوصف الآخرين عبارات "وسخ" و"محرور جنسياً" و"مقرف" و"متعصب" و"مليء بالكرهية" و"إرهابي" و"طاعن في الظهر"، و"لا يعرف الله"، و"لا يهمله إلا نفسه". وهذه النوعت تنبع من الروايات والخرافات، وبالتالي تعزز الشائعات التي تحط من قدر الآخر ومن إنسانيته. وبالمقابل، كثيراً ما اقترنت هذه النظرة المتطرفة تجاه الآخر بنظرة تبجيل الذات. حيث يحمل الكثيرون صورة إيجابية عن طوائفهم، وقد نسبوا إلى أنفسهم صفات "النظافة" و"الانفتاح" و"التعلم" و"الشخصية المميزة" و"التحضر".

ورفض معظم الشباب المشاركين في حلقات النقاش فكرة الزواج المختلط، باعتباره مصدراً "لوجع الرأس"، وسبباً للمشاكل الزوجية في المستقبل. ورأوا أن المشكلة الرئيسية في الزواج المختلط هي صعوبة دمج الشخص الآخر في عالمهم الاجتماعي والثقافي. وتشاركت جميع المجموعات الطائفية والمذهبية تقريباً وجهة النظر هذه. وكان المشاركون، بغالبيتهم العظمى، يعارضون بشدة الزواج من شخص من غير دينهم، باعتبار أن الزواج حدث مقدس وحدث اجتماعي في الوقت نفسه. ومن هنا، اعتبر البعض أن الزواج من دين مختلف هو "خطوة إلى الوراء". وبالنسبة إلى المشاركين المسلمين، كان للانقسام السني والشيعي تأثير واضح على فكرة الزواج المختلط، إذ عبر عدد من المشاركين بكل صراحة عن معارضتهم الزواج بين السنة والشيعية. ومن اللافت أن بعضاً من أصحاب هذا الرأي هم مولودون من هذا النوع من الزواج.

Massey, D. 1998. The spatial construction of (65) youth cultures. *Cool places: Geographies of Youth Culture*. London and New York: Rutledge. P. 126.

.Hanf, 2007 (64)

الطوائف الأخرى هي الأكثرية، لأنني أفضل العيش في منطقة أتمتع فيها بسلطة كاملة". وأعرب مشارك مسيحي عن قلقه قائلاً، "إذا قصدت المنطقة الغربية (أي غرب بيروت)، فأخشى أن يعرفوا أنني مسيحي، لا سيما إذا كنت أضع صليباً. فقد أتعرض للمضايقة والضرب أو حتى إطلاق النار. ولهذا السبب، أفضل البقاء في منطقة مسيحية". وعلى المنوال نفسه، قال بعض المشاركين الشيعة إن الدخول إلى الأحياء التي تشكل معقلاً للسنة يؤدي بلا شك إلى المضايقة والترهيب، وأضاف: "إذا دخلت إلى منطقة طريق الجديدة، وإذا ما عرفوا أنك شيعي، فأنت معرض لخطر الضرب. يفضل أن تودع أسرتك قبل الدخول إلى تلك المنطقة... وحتى الفتاة التي تردني الشادور ستعرض للمضايقات هناك. ولذلك، يفضل البقاء في الضاحية". ويشعر العديد من المشاركين السنة بالقلق نفسه تجاه المناطق الشيعية. وفي هذا الصدد، قالت إحدى الفتيات "أنا لا أجرؤ على الذهاب إلى الضاحية (ضاحية بيروت الجنوبية)، وأخشى أن أتعرض للإهانة أو القتل".

ولم تتبع معظم هذه التصريحات من تجربة شخصية أو مباشرة. فالمبالغة في تصور التهديدات كانت واضحة بل وسخيفة في بعض الأحيان، وقد استندت إلى تقارير إعلامية مضخمة في الغالب وروايات شعبية حول العنف. وقد تراكم هذا الوضع بعد شباط/فبراير 2005 بالتحديد، لا سيما في أعقاب حوادث أيار/مايو 2008. لكن هذه المقولات تنم عن الاعتقاد بالخطر الذي يشكله الآخر وعن الخوف من الدخول إلى فضائه. ويصبح هذا الخوف عنصراً في تكريس الانقسامات، فيعزز التقسيم والجيوب على المستوى المكاني، ويمعز في تقويض الثقة الاجتماعية. وليست حالة الثقة وحالة الخوف إلا انعكاس إحداهما للأخرى، إذ يرتبط الخوف وعدم الثقة بالافتقار بوجود الخطر والتهديد. ولا يمكن التخفيف من حدة الخوف سوى عن طريق الاعتماد على مجموعة صغيرة من الأصدقاء والأقارب المقربين.

واعتقاد الفرد بأن مكان إقامته هو المكان الآمن، والإصرار على أن يكون هذا الفضاء متجانس الملامح، ليس سوى دليل على الأهمية التي يوليها الأشخاص لهذه الفضاءات، التي تصبح تحمل الكثير من المعاني. وهذه الفضاءات هي أطر ذات حدود واضحة، تتكون وتتمثل ضمنها الهوية الجماعية، ويتجمع فيها الناس الذين يؤمنون بالمعتقدات نفسها ويتمسكون بالتقاليد نفسها بحيث يشكلون مجتمعاً واحداً. وهذا هو المكان - البيت الذي ينبغي أن يكون متجانساً، وأن نتشاركه مع أناس مثلنا. والأهم من ذلك، هذا هو المكان الذي من شأنه أن يميز "نحن" عن "هم".

المشاركون من جميع الفئات تقريباً بالطريقة نفسها: "لسنا مجبرين للعيش في مناطق مختلطة". وكان العيش في حي أو منطقة متجانسة الخيار الأول لمعظم المشاركين. وهذا الواقع يؤكد ما توصلت إليه الدراسة الاستقصائية التي أعدها هانف، ومفادها أن نسبة اللبنانيين الذين يفضلون العيش مع جيران يشاركونهم الخلفية نفسها قد ارتفعت كثيراً في عام 2006، إذ يرغب نحو ثلاثة أضعاف من المجبيين الذين شملتهم الدراسة الاستقصائية في العيش بين أناس من الخلفية نفسها⁽⁶⁶⁾. والجدير بالذكر أن هذا المعدل تجاوز في عام 2006 ما كان عليه في فترة الحرب الأهلية.

ونتيجة لذلك، تطرقت المناقشات مراراً إلى فكرة دخول مكان تشكل فيه الطوائف الأخرى "الأكثرية". ولا شك في أن استخدام مصطلح "دخول" يدل على التصنيف المكاني - الطائفي لبعض المناطق والأماكن. وهو يدل على وجود خريطة ذهنية للمدينة وللبلد، فيها حدود افتراضية مرسومة بين منطقتنا ومدينتنا ومنطقتهم ومدينتهم. ويسلط ذلك الضوء على درجة انتشار الجيوب الافتراضية والمكانية التي يعيش الشباب اللبنانيون فيها.

ومع أن المشاركين اعتبروا هذا الخيار منطقياً، يبقى رأيهم في تلك الجيوب، والرغبة في الإقامة في مناطق متجانسة، نتاج عامل الخوف. وينبع الخوف من التهديدات المتصورة التي قد تكون حقيقية ولكنها من نسج الخيال في أكثر الأحيان، ومن انعدام الأمن والتوجس من الآخر. ويتحول الخوف إلى ظاهرة لا يمكن التخفيف من حدتها سوى بالعيش في مكان حيث يمكن الشعور بالأمن من خلال التشابه المتصور في حياة الأفراد وللتجانس الطائفي فيه. والجدير بالذكر أن المشاركين يستبعدون أن تملك الدولة القدرة على إحلال الأمن وتأمين الخدمات للجميع في جو من الحياد وعدم الانحياز. ومن هنا، يصبح العيش في منطقة متجانسة خياراً منطقياً، نظراً إلى أن التجانس والانتماء إلى الأكثرية يوفران نفوذاً انتخابياً ومؤسسياً.

وأعرب المشاركون عن المخاوف الأمنية التي تنتابهم نتيجة للفكرة التي يكتونونها حول العيش وحتى المرور في المناطق التي تشكل فيها الطوائف الأخرى أكثرية واضحة. وقد عبروا بكل صراحة عن رغبتهم في العيش في أحياء متجانسة تضمن لهم الأمن. وقال مشارك من بعلبك إن "الأمن يعني العيش مع أشخاص من الطائفة نفسها". وأكمل مشارك آخر من شمال لبنان، معتمداً المنطق نفسه: "أنا لا أعيش في المناطق التي تكون فيها

الفرص. ويجمع الشباب على الرغم من الانقسامات في صفوفهم على الرأي نفسه حيال شرعية الدولة.

ويعتقد العديد من المشاركين أن المفهوم التقليدي للحكومة قد استولى على الدولة. ويتمثل الانطباع السائد في أن الدولة أكلت السياسيين والزعماء الطائفيين - السياسيين للقيام بواجباتها. ويستغل هؤلاء الزعماء النظام لتعزيز مصالحهم الخاصة والحفاظ على مواقعهم. وشرح أحد المشاركين هذا الأمر قائلاً: "يقوم هذا النظام على التمثيل الطائفي والمناطق، وعلى توزيع المناصب بين مختلف الطوائف الدينية". وأشار مشارك آخر إلى أنه "في ظل غياب الدولة وعجزها عن خدمة مواطنيها، من الطبيعي أن يقوم الزعيم السياسي بتوفير تلك الخدمات للمواطنين مقابل الحصول على صوتهم في الانتخابات".

غير أن هؤلاء الزعماء قد أصبحوا ضرورة: فهم "الحماة" و"أرباب العمل" و"مقدمو الرعاية" أو "ميسرو الأمور". وبالرغم من إحساس الشباب بالإحباط بسبب دور القادة في إضعاف الدولة، لم يشعر مشاركون عديدون بالإحراج من التأكيد على أنهم سيستخدمون هذا النظام غير الرسمي للرعاية من أجل الحصول على خدمات معينة أو إيجاد فرصة عمل. ورأى المشاركون من جميع الطوائف أن هذا هو "السييل الوحيد لتيسير الأمور". وأشار أحد المشاركين بكل وضوح إلى أن "الحصول على وظيفة يرتبط دائماً بالرشوة. أنا، شخصياً، أقصد الزعيم السياسي الذي يمثل طائفتي". وأضاف مشارك آخر بكل صراحة: "عندما نريد تقديم طلب للحصول على وظيفة شاغرة، نذهب مباشرة إلى من يمثلنا، فهذه الطريقة سهلة ومضمونة". وأعرب مشارك آخر عن رأيه بالقدر نفسه من الصراحة، قائلاً: "نحن ننتخب الزعماء السياسيين أنفسهم مراراً وتكراراً لأننا بحاجة إلى الخدمات وفرص العمل التي يفترض بالدولة أن تؤمنها لنا".

ومما لا شك فيه أن الشكايات القائمة على الزبائنية تقدم علاجاً سريعاً لبعض الشبان والشابات، إذ تسهل مثلاً الجهود التي يبذلونها عادة للحصول على قبول من الجامعات ولتأمين فرصة عمل. غير أن المفارقة تكمن في أن هذا الواقع يدعم وجهة نظرهم تجاه عدم شرعية الدولة ويعزز شعورهم بالإحباط. والأهم من ذلك أن النظام الزبائني يعزز بممارساته موقع الزعماء التقليديين والطائفيين الذين يقومون بدور الوسطاء لتأمين الخدمات والسلع والفرص خاصة تلك المرتبطة بالدولة. وفي إطار النظام السياسي القائم على عملية متواصلة من التفاوض والمساومة بين مختلف الطوائف والجماعات بهدف الحصول على حصة أكبر، تُسند قيمة كبيرة إلى الزعماء الطائفيين الأقوياء الذين يظهرون بصورة المدافعين عن

ويشكل تحديد النطاق الجغرافي للهوية الجماعية حجر الأساس في الحفاظ على هذه الهوية، سواء أكانت طائفية أم قبلية أم إثنية(67). وكما تقول دورين ماسي، إن تشكيل أي هوية هو عملية تنطوي على تعبيرات ورموز سياسية وثقافية ومكانية. وما بناء المواقع الدينية والأضرحة واللوحات الجدارية وتعليق الملصقات السياسية سوى وسيلة يؤكد الفرد من خلالها هويته داخل فضاءه وعلى امتداده(68).

4- النظام السياسي والزبائنية: أسس متشابكة

ينبغي النظر إلى انعدام الثقة لدى الشباب وإحساسهم بالانتماء إلى جيوب منعزلة في سياق خيبة الأمل التي يشعرون بها تجاه الدولة وسياساتها. ومما يدعو للقلق أن المشاركين في حلقات النقاش أعربوا عن عدم احترامهم للدولة كمؤسسة. وصوروا الدولة على أنها كيان عاجز، وليس مظلة مشتركة يمكن للمواطنين أن يتجمعوا تحتها. واتضح من المناقشات أن فهم الشباب لمصطلح الدولة مشوه، حيث يخلطون دائماً بين الدولة والحكومة. وهكذا تصبح الدولة في نظر الشباب رديفاً للشخص الذي هو في سدة الحكم أو الرئاسة، فيصبح تأييدها أو عدم تأييدها نتيجة لموقف كل فرد تجاه حزب أو زعيم معين. ومن خلال هذه الذهنية يرى المشاركون الدولة وبينون توقعاتهم منها.

وقد ظهرت خيبة الأمل تجاه الدولة ومؤسساتها في كثير من المناقشات، حيث سجل المشاركون شبه إجماع على أن الدولة اللبنانية ضعيفة، واعتبروا أن الدولة لم تتمكن من تلبية احتياجات مواطنيها. فالأمن ما زال غائباً، شأنه شأن تكافؤ الحقوق والفرص. وقال أحد المشاركين في هذا الصدد: "إن عدم تكافؤ الفرص هو مؤشر للخلل الذي يعاني منه النظام السياسي". واعتبر المشاركون أن السرقة والفساد والتستر على الجرائم والتوترات الطائفية والتدخلات الأجنبية والمحسوبية والمحاباة كلها مرادفات للقطاع العام في لبنان. والجدير بالذكر أن تلك الفكرة كانت سائدة في جميع حلقات النقاش، بصرف النظر عن الانتماء الطائفي أو المذهبي للمشاركين.

وشغلت المشاكل المتصلة بالحصول على فرصة عمل حيزاً محورياً في المناقشات، نظراً إلى أن جميع المشاركين كانوا في سن يتوقع فيه أن يبدأوا حياة مهنية. وأعرب كثيرون عن شعورهم بالإحباط إزاء عدم تكافؤ

Tilly, C. 1994. *A Phenomenology of Landscape: (67) Places, paths and monuments*. Oxford: Berg Publishers.

.Massey, 1998 (68)

لجميع مواطنيه، وهو رأي يذكر بالبند والعبارات الواردة في اتفاق الطائف. وكان جميع المشاركين تقريباً يتطلعون إلى أن يكون لبنان وطناً واحداً موحداً. ويبعث هذا الشعور على الأمل في إمكانية الانتقال إلى مرحلة من العيش المشترك المستدام والسلمي.

ويتمثل الجانب الإيجابي من هذا الاعتقاد في أنه نابع من التقارب شبه التام في الآراء، بغض النظر عن الخلفية الطائفية. فقد رأى الجميع، بالرغم من انقساماتهم، ضرورة أن يتسم النظام السياسي ومؤسسات الدولة بالعدل والإنصاف، وأن يتمكن الجميع من الوصول إليها. وإذا كان هناك أمر واحد يوحد اللبنانيين، فهو الإحباط من النظام، والحاجة إلى الإنصاف ونوعية حياة أفضل. وقد أكد جميع المشاركين من جميع الانتماءات الطائفية أنهم يتطلعون إلى سياسات تعزز المساواة بين الجميع، مما يؤكد الانطباع السائد لدى ثلاثة أرباع اللبنانيين، حسيماً جاء في المسح الوطني الذي أجراه هانف في عام 2007. وأكد المشاركون من جميع الطوائف، بالاجماع، على ضرورة وضع سياسات ومؤسسات قادرة على تسهيل وصول الشباب إلى النظام السياسي. وأشار المشاركون عدة مرات إلى ضرورة تحقيق إنجاز كبير يسمح بظهور قيادات جديدة وشابة.

حقوق طوائفهم. وفي هذا الصدد، قال أحد المشاركين: "لن يتمكن من الحفاظ على حقوقنا في لبنان إلا زعيم الطائفة".

5- التطلعات المشتركة

بالرغم من شيوع الإحساس بالجيوب الفضائية والاجتماعية في المناقشات، وبالرغم من الشعور بالخيبة تجاه الدولة والنظام السياسي، والتي عبر عنها الشباب بكل صراحة، لم يبد أحد من المشاركين رغبة في الانفصال نهائياً عن الآخرين. فقد اعتبر جميع المشاركين تقريباً أن الوجه المتعدد الثقافات الذي يتميز به لبنان هو ثروة اجتماعية قيمة. ولا بد من الإشارة إلى أن هذا الرأي لا يخلو من التناقض، إذ جاء على لسان شبان وشابات أظهروا تعلقهم الشديد بطوائفهم، وأبدوا قدراً كبيراً من انعدام الثقة في أفراد الطوائف الأخرى. وبالرغم من كل ذلك، من الواضح أن الشباب اللبنانيين يتطلعون إلى قيام نظام حكم سياسي عادل يعيش فيه الجميع بالتساوي. وقد تحدث جميع المشاركين تقريباً عن الممارسات الملتوية السائدة وضرورة إحداث تغيير على مستوى التنظيم السياسي. وأشار المشاركون مراراً إلى ضرورة إقامة نظام يركز على الحكم الرشيد وتطبيق فيه المساواة. والأهم من ذلك، يرى المشاركون أن لبنان هو وطن واحد

خامساً - الاستنتاجات

شعوراً بالأمان، ويساهم في الحفاظ على هويتهم الجماعية، وذلك من خلال اعتبار مجالات جغرافية معينة ملكية خاصة لهم.

وعلاوة على ذلك، لا يزال اقتناع بعض اللبنانيين بأنهم ضحايا لم ينتقموا لما تعرضوا له من أذى أمراً ماثلاً في ذاكرتهم الجماعية. وقد تحدث الشباب عن ذكريات الحرب الأهلية في معرض نقاشهم حول طبيعة العلاقات الطائفية، بالرغم من أنهم لم يعيشوا هذه الحرب. وكانت ذاكرة الشباب انتقائية، واستخدمت لدعم مزاعم معينة وكذلك لرسم الحدود بين "نحن" و"هم".

وأبدت المناقشات مفارقة أخرى تنطوي عليها الطريقة التي ينظر فيها الشباب إلى الزبائنية والمحاباة السياسية. فقد اعتبر المشاركون أن الزبائنية شرّاً يتسبب بتخريب النظام السياسي اللبناني وكذلك يغذي الفساد والرشوة. وكان هذا الرأي السائد لدى جميع المشاركين، بصرف النظر عن انتماءاتهم المذهبية أو الطائفية. ومع ذلك، رأى العديد من المشاركين ضرورة الانخراط في ممارسات المحسوبية واستخدام شبكاتهما باعتبارها إحدى السبل الرئيسية لتأمين فرص العمل أو الحصول على السلع والخدمات العامة. وأعرب عدة مشاركين عن تقديرهم للقادة السياسيين الذين انتقدهم الشباب عموماً "لاستيلائهم على الدولة"، وذلك لقدرتهم على تقديم كافة أشكال الحماية بما يتمتعون به من نفوذ يكتسبونه تحديداً عن طريق تقديم هذه الخدمات.

تعرض هذه الدراسة تحليلاً للمناقشات التي دارت خلال 15 حلقة نقاش مع 113 شابة وشاباً تتراوح أعمارهم بين 18 و23 سنة. وهدفت حلقات النقاش إلى تقييم وجهات نظر الشباب في العلاقات بين الطوائف المختلفة، والديناميات المكانية بين هذه الطوائف، وطبيعة النظام السياسي في لبنان. وقد بحثت الدراسة في وجهات نظر الشباب حول هذه المفاهيم التي تساهم في تكوين هوياتهم الطائفية.

وإذا كان بالإمكان تلخيص الحالة النفسية التي يعيشها الشباب اللبنانيين في عبارة واحدة، فهي أنهم يعيشون في جوارٍ من التناقضات، يتجاوزه عالمان. فهم يتطلعون بلا أدنى شك إلى إقامة دولة وبناء مجتمع ينعم بالمساواة والاستقرار والسلام، ويعيش فيه الجميع في ظل قيمة التعددية الثقافية. وبالاندفاع نفسه هم يودون العيش في أوساط هي بمثابة جيوب اجتماعية وسياسية وفضائية، ذات آفاق ضيقة بحجة الحفاظ على هوية الجماعة. ومن الواضح أيضاً أن الشباب اللبنانيين عالقون بين خيبة الأمل من النظام السياسي والممارسات السياسية، من ناحية، والأمل في المزيد من المشاركة وقيام مجال عام يشمل جميع الطوائف والمذاهب، من ناحية أخرى.

ونتيجة لذلك، تكشف استنتاجات حلقات النقاش فشل المساعي الرامية إلى إطلاق عملية مصالحة قوية وبناء سلام مستدام منذ نهاية الحرب الأهلية في عام 1990. فبعد انتهاء الحرب بما يقارب العقدين، لا يزال شيوع الإحساس بالجيوب الاجتماعية والمناطقية في أوساط الشباب، والذي رشح في أثناء حلقات النقاش، أمراً مثيراً للقلق. وما زال شعور عدم الثقة والاستياء بفعل الصور النمطية المجتمعية منتشراً، حتى وإذا كان مختبئاً وراء ما يبدو وكأنه حياة طبيعية في الظاهر⁽⁶⁹⁾. ويبدو أن الشباب اللبنانيين لا يولون ثقتهم الاجتماعية سوى في حلقة صغيرة من الأقارب والأصدقاء. ويقتصر اختلاطهم الاجتماعي مع الآخرين على المساحات العامة، والتي لا تتعرض فيها هوية الجماعة للهجوم أو التهديد. وفي المقابل، يجب أن تكون أماكن الإقامة متجانسة، وهي الأماكن التي يقيم فيها أشخاص يتبعون المعايير الثقافية والمعتقدات المشتركة نفسها؛ ولذلك، يجب أن تكون هذه الأماكن حصرية لهم. وتحدث المشاركون عن ضرورة أن تكون أماكن الإقامة حصرية لهم، باعتبار ذلك يمنحهم

Halpern, J. and Weinstein, H. 2004. (69) Rehumanizing the Other: Empathy and Reconciliation. *Human Rights Quarterly*. 26 (3): 561-583.

سادساً - التوصيات

التعددية. وبالإضافة إلى ذلك، تناول الجوانب التنموية والاقتصادية لسياسات الهوية، وتقاسم السلطة، والمواطنة المتعددة الأديان والأعراق والثقافات، وإدارة التنوع.

4- تشجيع إشراك المجتمع المدني والجمهور في المسائل التي تتجاوز الانقسامات الطائفية. ومن شأن ذلك توثيق التضامن الأفقي وتوليد شعور بالمواطنة المشتركة والحقوق والواجبات المشتركة (من القضايا ذات الاهتمام المشترك تحسين تقديم الخدمات الأساسية، والحق في العمل، والعدالة الاجتماعية، والبيئة، والأمن، والحصول على الموارد الطبيعية وغيرها).

5- دعم وتوثيق المبادرات المعنية بمعالجة ذكريات العنف السياسي والصدمات، والتي تتجه نحو تحقيق العدالة والمصالحة.

6- التماس دعم المرجعيات الدينية، للمساعدة في إبراز القضايا ذات الاهتمام المشترك في حقوق الإنسان والقيم المدنية والدينية.

ومن الأهمية بمكان العمل على الحد من تفكك العلاقات الاجتماعية بين الطوائف بهدف تعزيز التعايش السلمي. وقد يكون من المجدي تقديم حوافز لوسائل الإعلام والمنظمات المدنية للنهوض بالعلاقات بين الطوائف، وذلك بالوسائل التالية:

1- تصميم برامج تتناول التفاعل في المجال العام ودور وسائل الإعلام في مختلف مراحل الصراع. وهذا يشمل تعزيز القدرة الإيجابية التي تتمتع بها وسائل الإعلام في تعزيز السلام بين الطوائف، وتجنب الدور السلبي الذي يمكن أن تؤديه من خلال التحريض على الفتنة الطائفية:

(أ) تعزيز دور وسائل الإعلام في توثيق العلاقات بين الطوائف، وتعزيز القيم المدنية، والتصدي لمخاطر التوترات الطائفية. ويتحقق ذلك عن طريق تدريب الصحفيين المحترفين، وكذلك إدراج هذه القضايا في مناهج دراسة الصحافة في الجامعات. ويتعين دعم تطوير البرامج المفيدة التي تتناول جميع الطوائف، من خلال المواقع الإلكترونية والمدونات الإلكترونية والمواد المطبوعة والكتب المصورة والأفلام والمسلسلات والبرامج التلفزيونية. وينبغي كذلك، من دون نفي القضايا المسببة للنزاعات، التأكيد على الممارسات الاجتماعية التي تجسد التعايش الطائفي، مثل الزيجات والمشاريع التجارية والأحياء السكنية المختلطة؛ والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بين الطوائف؛ والحوار بين الأديان؛

انطلاقاً من تحليل المناقشات، خلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات بشأن التخفيف من التوترات الطائفية المتواصلة. وهذه التوصيات موجهة إلى المؤسسات المعنية في الدولة، والمنظمات المتعددة الأطراف، والمجتمع المدني، والجهات المانحة. وهي تهدف إلى الحد من التجدد المستمر للهوية الطائفية الإقصائية والمسيئة؛ وتغيير واقع تجزئة العلاقات الاجتماعية بين الطوائف؛ ومواجهة تحدي الفضاءات الإقصائية التي تسهم في تفكك العلاقات الاجتماعية، والحد من الزبائنية في المؤسسات العامة عن طريق وضع برامج وسياسات ترسخ ممارسات الحكم السليم الذي يعزز، بدوره، قدرة القطاع العام على تحقيق التنمية والتماسك الاجتماعي والتعايش السلمي. وتتضمن الدراسة أيضاً توصيات بشأن البحوث المقترح إجراؤها في المستقبل.

وتركز السياسات والبرامج المقترحة في هذه الدراسة على وقف التجدد المستمر للهوية الطائفية الإقصائية والمسيئة من خلال تعزيز القيم المدنية؛ وتعبئة الرأي العام بشأن القضايا ذات الاهتمام المشترك؛ وإبراز القواسم المشتركة بين مختلف الطوائف. وفيما يلي السياسات والبرامج المقترحة لإزالة التوترات الطائفية:

1- تعزيز القيم المدنية، أي قيم حقوق الإنسان والهوية الوطنية، وإدراج هذا الهدف في الأولويات لدى المجتمعات التعددية التي يمكن أن يشكل فيها النظام التعليمي الأداة الرئيسية لبناء القيم المدنية وتعزيز المهارات الحياتية كوسيلة للتخفيف من حدة التوترات الطائفية. والجدير بالذكر أن تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي لعام 2008 والمعنون "التعليم والمواطنة، المفاهيم والمواقف والمهارات والإجراءات: تحليل نتائج الدراسة الاستقصائية لطلاب الصف التاسع في لبنان" يشير إلى انخفاض مستوى المعرفة المدنية لدى الطلاب اللبنانيين ويقترح مجموعة من التوصيات بشأنها.

2- إدراج دراسة الأديان والأعراق المختلفة في المناهج التعليمية في المدارس والجامعات، بما في ذلك القواسم التاريخية والمعاصرة المشتركة بينها، باعتبار هذا النوع من الاطلاع وسيلة للتعرف على الآخر، على أن يصار إلى إعداد كتاب تاريخ موحد واعتماده وتعليمه في المدارس.

3- تشجيع إعداد دراسات مقارنة في الجامعات والمنشآت الفكرية حول الصراعات الطائفية وبناء السلام، وبناء الأوطان والمؤسسات الديمقراطية في المجتمعات

الصراعات وتعزيز التفاهم⁽⁷⁰⁾. ومن المبادرات الأخرى الممكن اتخاذها لمعالجة قضية المساحات الحضرية:

1- إنشاء أماكن عامة بكلفة معقولة، لتقديم مستوى جيد من التعليم والمعلومات، مثل المدارس الرسمية، وأماكن المؤتمرات، والمساحات الثقافية، والمكتبات، والمتاحف، ومراكز الكمبيوتر، والتدريب المهني، وغيرها. فتلك الأماكن تفسح المجال أمام التعليم المختلط وتشكيل مجموعات متعددة الطوائف من الأقران.

2- دعم مبادرات المجتمع المدني التي تبحث في معنى المجال العام في المجتمعات المتنوعة، والتي تناضل من أجل الحق في المساحة العامة. ويمكن لهذه المبادرات أيضاً معالجة الآثار السلبية لخصخصة الأماكن والموارد العامة على التفاعل بين الطوائف المختلفة (مثل الحق في التعليم الرسمي ذي المستوى الجيد، والمساحات الخضراء في المناطق الحضرية، والسواحل، والشواطئ، وغيرها).

3- رفع مستوى الوعي في الجامعات (في مجالات الهندسة المعمارية، وهندسة المناظر الطبيعية، والتخطيط الحضري) حول تأثير الانقسامات المكانية على العلاقات بين الطوائف. وكذلك دعم المبادرات الرامية إلى تعزيز التفاعل والعيش المشترك من خلال التخطيط المدني على نحو يساعد في درء الصراعات.

وعلى الدولة ومؤسساتها الاضطلاع بدور قيادي في تعزيز العيش المشترك السلمي والحفاظ عليه. ولتحقيق هذا الهدف، ينبغي وضع حد للحسوبة داخل المؤسسات الرسمية. ويمكن القيام بذلك من خلال وضع برامج وسياسات تدعم ممارسات الحكم السليم وتعزز قدرة القطاع العام على تحقيق التنمية والتماسك الاجتماعي والعيش المشترك السلمي. وهذه العناصر هي جميعها ركائز بالغة الأهمية في التخفيف من التوترات الطائفية. ويقترح اعتماد السياسات ووضع البرامج التالية:

1- تشجيع النخب الحاكمة على بلوغ اتفاق أو ميثاق سياسي، من أجل عزل القطاع العام عن الصراعات السياسية والطائفية، وتعزيز اعتماده على الكفاءة والجدارة. ويمكن التوصل إلى ذلك الاتفاق السياسي بوساطة رئيس الدولة، ويمكن تنفيذه على مراحل، بدءاً بالوزارات والمؤسسات العامة المعنية بتقديم الخدمات الأساسية.

(ب) تخصيص أجهزة رقابة مستقلة ترصد التحريض الطائفي الذي يمارس عبر الخطاب العام. ويمكن عرض حالات التحريض من خلال إصدار تقارير دورية متاحة للجمهور، وذلك مثلاً عندما يعمد السياسيون إلى استخدام وسائل الإعلام كأداة للتعبير عن آرائهم وتعبئة جماهيرهم من خلال إثارة النعرات الطائفية؛

(ج) تشجيع تحديد الأخلاقيات الإعلامية والتدريب عليها ومتابعة تطبيقها. وينبغي كذلك تشجيع وسائل الإعلام على اعتماد معايير ترعى إعداد تقارير محايدة وموضوعية، وعلى الامتناع عن التحريض الطائفي؛

(د) دعم الأنشطة الإعلامية التي تستهدف الشباب وتشد على العلاقات بين الطوائف، لما لهذه الأنشطة من دور في تعزيز القيم المدنية والتصدي لمخاطر التوترات الطائفية (من خلال Facebook والتجمعات الإلكترونية والكتب المصورة وألعاب الفيديو).

2- توفير حوافز للمنظمات الأهلية التي تضم طوائف مختلفة، والتي تغطي برامجها الوطن بأسره ويطل عملها مختلف الطوائف.

3- تعزيز البرامج الاجتماعية التي تهدف إلى الحد من تفكك العلاقات بين الطوائف. ومن الأمثلة على ذلك المبادرات المتخذة لإقرار الزواج المدني وإزالة الطابع الطائفي عن قوانين الأحوال الشخصية.

4- تطوير برامج تسمح بالتفاعل بين مختلف الطوائف، من خلال تقديم حوافز للشباب خصوصاً. ومن الأمثلة على ذلك أداء الخدمة العسكرية الوطنية عن طريق الخدمة في القطاع العام، كالبدييات مثلاً.

ومن أجل توثيق العلاقات بين الطوائف، لا بد كذلك من مواجهة التحدي الذي تفرضه الفضاءات الإقصائية في العلاقات الاجتماعية. وفي هذا الصدد، قد يكون من الفعالية مكان توفير أماكن اجتماعية عامة قليلة الكلفة، مثل الحدائق العامة في المناطق الحضرية، وأماكن اللعب، والملاعب الرياضية، والمخيمات الترفيهية، والشواطئ العامة، والمنزهات. فالأماكن العامة تسمح بالاختلاط والتفاعل، وتسهم في إزالة الصور النمطية، وتوثيق العلاقات بين الطوائف. والهدف من ذلك هو بلوغ مرحلة تشعر فيها جميع الطوائف والفئات الثقافية بالانتماء إلى البلد أو المدينة، من غير أن يسبب ذلك أي مساس بخصوصياتها وقيمها. ومن ناحية أخرى، يساعد التعاون والتفاعل بين المجتمع المدني والمنظمات الأهلية في إدارة

Varshney, A. 2001. Ethnic Conflict and Civil (70) Society: India and beyond. *World Politics*. 53(3): 362-398; and Yassin, N. 2008. Can Urbanism Heal the Scars of Conflict? *City*. 12 (3): 398-401.

تشارك فيها فئات عمرية أكثر تنوعاً ومن مختلف المناطق والخلفيات الاجتماعية والاقتصادية.

5- دراسة المشاكل الاقتصادية التي يعاني منها البالغون الشباب، وإبراز كيف يؤدي إقصاؤهم من الحياة الاقتصادية في المجتمعات المتنوعة إلى اعتمادهم على الشبكات الزبانية والأحزاب السياسية. ويتعين كذلك النظر في قدرة المحسوبة والمحاباة على إنكفاء التوترات الطائفية.

6- إجراء بحوث حول الحكم الذي يساعد في الحد من الصراعات وأدوات التنمية اللازمة للمجتمعات المتنوعة.

7- البحث في قدرة الدولة على إضعاف السياسات القائمة على الهوية والتخفيف من قبضة الأحزاب ومزودي الخدمات من مختلف الطوائف والذين تتحكم بهم اعتبارات الهوية، وذلك عن طريق تقديم الخدمات والسلع العامة بالتساوي للجميع. ويمكن أن يؤدي ذلك إلى التخفيف من حدة التوترات الطائفية.

8- البحث في تأثير وسائل الإعلام على الجمهور عموماً، والشباب خصوصاً:

(أ) دراسة السبل التي يتمكّن عبرها الإعلام، لا سيما وسائل الإعلام عبر الوطنية، من صنع آراء المواطنين ومعتقداتهم السياسية؛

(ب) تحديد الطرق الممكنة لاستخدام وسائل الإعلام من أجل تعزيز القيم المدنية والنهوض بالعلاقات بين الطوائف.

9- البحث في الطريقة التي يصنّف فيها الشباب البالغون خصوصاً المساحات والأمكنة ويستعملونها (أي الأماكن العامة والحصرية وغيرها). ويتعين البحث كذلك في المعاني الرمزية التي يسندها الناس إلى الأماكن، وذلك في سياق الصراعات أو التفاعل السلمي بين الطوائف.

10- البحث في الترابط بين التقسيم المكاني، وخصخصة المجال العام، والتوتر الطائفي.

11- دراسة إمكانية مساهمة الفضاء المشترك والعوامل المكانية في تشجيع الاختلاط بين الطوائف والتخفيف من الأفكار النمطية.

12- البحث في تداعيات التقسيمات المكانية على تنقل الفتيات والنساء، وكيف يحدد ذلك ممارسات النساء والرجال ووجهات نظرهم فيما يتصل بالصراعات الطائفية و/أو العيش المشترك.

2- تحقيق توازن بين الأهداف الإنمائية الوطنية في إطار عملية اجتماعية تشاركية وشاملة، تسهم في الحد من الحرمان وعدم المساواة، ولا تقتصر على أماكن جغرافية محددة أو تكتسب صفة طائفية.

3- الاستثمار في الجهود الهادفة إلى تعزيز نهج الحكم الذي يساعد في الحد من النزاعات ويسمح بالتخطيط العادل ويسهل تقديم الخدمات الضرورية الكفيلة بما يلي:

(أ) إتاحة الفرص اللازمة لتعزيز كفاءة مؤسسات الدولة وهياكل الحكم المحلي، والتي يجب أن تقود مسيرة العيش المشترك السلمي؛

(ب) التوصل إلى الاستقرار والتنمية المستدامين وبذل جهود متواصلة لتحقيق المصالحة.

4- وضع سياسات تستهدف الجمهور، لا سيما الشباب، وتُعنى بمعالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، وبتوعية الناس جميعاً بحقوقهم المدنية المكتسبة، وضرورة الحصول عليها عن طريق الوسائل غير الطائفية وغير الحزبية. وتضطلع الدولة والمجتمع المدني بدور رئيسي في ضمان تلك الحقوق وكذلك في الدعوة لها.

توصيات بشأن البحوث المقترح إجراؤها في المستقبل

1- تقييم الصراع على الموارد والمكافآت السياسية المتوفرة لهويات طائفية محددة. فهذه المكافآت والموارد تُعتبر من أهم الأسباب التي تؤدي إلى تعزيز الهويات الطائفية المسيسة والإقصائية إلى حد بعيد، وينبغي أن يعالجها الباحثون وصانعو السياسات والمنخرطون في بناء السلام.

2- التنبيه إلى "النقطة الحاسمة"، أي النقطة التي تتحول عندها الهويات المتعددة والثرية إلى "هويات قاتلة"، وخصوصاً عند النظر في المراحل التي تعمد فيها الجهات السياسية إلى تحويل وجود هويات متعددة إلى مشكلة، وعندما يصبح هذا الوجود مصدراً للتوتر أو الصراع.

3- البحث في الطريقة الأنسب لاستخدام الدراسات الدينية بهدف تشجيع التسامح وقبول الآخر.

4- دراسة العوامل التي تؤدي إلى تفاقم التوترات الطائفية، بما فيها العوامل الخارجية، وتحديد أكثر التدخلات فعالية في التخفيف من حدة هذه التوترات في منطقة عربي آسيا. وقد يكون من المجدي في هذا الصدد الاستمرار في اعتماد منهجية "حلقات النقاش"، على أن

المراجع العربية

- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا)، 2007، الأهداف الإنمائية للألفية في المنطقة العربية 2007: منظور شبابي، الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية.
- الأمم المتحدة، تقرير الأمين العام المقدم عملاً بالبيان الذي اعتمده اجتماع القمة لمجلس الأمن في 31 كانون الثاني/يناير 1992، برنامج للسلام- الدبلوماسية الوقائية وصنع السلم وحفظ السلم، A/47/277-S/24111، 17 حزيران/يونيو 1992.
- الأمم المتحدة، قرار الجمعية العامة 135/47، إعلان بشأن حقوق الأشخاص المنتمين الى أقليات قومية أو إثنية وإلى أقليات دينية ولغوية، A/RES/47/135، 3 شباط/فبراير 1993.
- الأمم المتحدة، تقرير الأمين العام، نحن الشعوب: دور الأمم المتحدة في القرن الحادي والعشرين، A/54/2000، 27 آذار/مارس 2000.
- الأمم المتحدة، تقرير فريق الأمم المتحدة المعني بعمليات السلام، S/2000/809 - A/55/305، 21 آب/أغسطس 2000.
- الأمم المتحدة، تقرير الأمين العام بشأن منع نشوب الصراعات المسلحة، A/55/985-S/2001/574، 7 حزيران/يونيو 2001.
- الأمم المتحدة، الجمعية العامة، تقرير الأمين العام بشأن سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات، A/56/523، 2 تشرين الثاني/نوفمبر 2001.
- الأمم المتحدة، مجلس الأمن، جدول الأعمال، المصالحة الوطنية في مرحلة ما بعد الصراع: دور الأمم المتحدة، S/PV.4903، 26 كانون الثاني/يناير 2004.
- الأمم المتحدة، مجلس الأمن، سيادة القانون والعدالة الانتقالية في مجتمعات الصراع ومجتمعات ما بعد الصراع، تقرير الأمين العام، S/2004/616، 23 آب/أغسطس 2004.
- الأمم المتحدة، الجمعية العامة، القرار 17/61، السنة الدولية للمصالحة، 2009، A/RES/61/17، 23 كانون الثاني/يناير 2007.
- الأمم المتحدة، تقرير الأمين العام بشأن الأطفال والصراعات المسلحة، A/62/609-S/2007/757، 21 كانون الأول/ديسمبر 2007.
- الأمم المتحدة، مجلس الأمن، تقرير الأمين العام المقدم عملاً بالفقرة 6 من القرار 1770 (2007)، S/2008/495، 28 تموز/يوليو 2008.
- الأمم المتحدة، تقرير الأمين العام بشأن بناء السلام في المرحلة التي تعقب مباشرة انتهاء النزاع، A/63/881-S/2009/304، 11 حزيران/يونيو 2009.
- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، التربية والمواطنة، المعارف، المفاهيم، المواقف، والأعمال، نتائج دراسة لطلبة الصف التاسع في لبنان من منظور دولي، بيروت، لبنان، 2008.
- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2009 - تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية، نيويورك وجنيف.
- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، التقرير الوطني للتنمية البشرية 2008-2009: نحو دولة المواطن، نيويورك وجنيف، 2009.

برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والجمعية اللبنانية لتعزيز الشفافية، نحو استراتيجية وطنية لمكافحة الفساد، نيويورك وجنيف،
2009.

المراجع الإنكليزية

- Al-Khalidi, A. and Tanner, V. 2006. Sectarian Violence: Radical Groups Drive Internal Displacement in Iraq. The Brookings Bern Project on Internal Displacement. Brookings. 3 December.
- Anderson, B. 2006. Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism. New York: W.W. Norton & Company, Inc.
- Babbie, E. 2005. The Basics of Social Research. Third Edition. New York: Wadsworth Publishing Company.
- Barber, B. 1992. Jihad vs. McWorld. The Atlantic Online. March.
- Binder, L. (ed.)1999. Ethnic Conflict and International Politics in the Middle East. Florida Press University.
- Bookman, M. 2002. Ethnic Groups in Motion: Economic Competition and Migration in Multi-Ethnic States. London: Frank Cass Publishers.
- Brass, P. R. 1997. Theft of an idol: Text and context in the representation of collective violence. New Jersey: Princeton University Press.
- Brown, M. 1996. (ed.) Internal Conflict and International Action in The International Dimensions of Internal Conflict. Cambridge, Massachusetts: MIT Press.
- Bryce, J. and Armenian, H. (eds.) 1986. In Wartime: The State of Children in Lebanon. Arab Gulf Programme for United Nations Development Organizations. Beirut: American University of Beirut.
- Canavor, V. 2006. From Proposal to Presentation: The Focus Group Process at NDI. Internal National Democratic Institute (NDI) document.
- Castells, M. 2004. The Power of Identity: The Information Age: Economy, Society and Culture, Vol. II. Malden, Massachusetts: Blackwell.
- Cohen, A. 1969. Custom & Politics in Urban Africa: A Study of Hausa Migrants in Yoruba Town. California: University of California.
- Erikson, E. 1959. Identity and the Life Cycle: Selected Papers by Erik H. Erikson. Psychological Issues Monograph 1. New York: International University Press.
- Esman, M. J. and Telhami, S. (eds.) 1995. International Organizations and Ethnic Conflict. Ithaca: Cornell University Press.
- Fearon, J. and Laitin, D. 1996. Explaining Interethnic Cooperation. American Political Science Review. 90 (4): 715-735.
- Fearon, J. and Laitin, D. 2000. Violence and the Social Construction of Ethnic Identity. International Organization. 54(4): 845-877. Cambridge.

- Giustozzi, A. 2005. The Debate on Warlordism: The Importance of Military Legitimacy. Crisis States Discussion Papers, No. 13. Crisis States Research Centre. London: London School of Economics and Political Science.
- Gleditsch, K. S. 2007.
- Transnational Dimensions of Civil War in *Journal of Peace Research*. 44: 293-309. Essex: University of Essex.
- Gugler, J. (ed.) 1997. *Cities in the Developing World: Issues, Theory, and Policy*. Oxford and New York: Oxford University Press.
- Halpern, J. and Weinstein, H. 2004. Rehumanizing the Other: Empathy and Reconciliation. *Human Rights Quarterly*. 26 (3): 561-583.
- Hanf, T. 2007. E pluribus unum? Lebanese opinions and attitudes on coexistence: Letters from Byblos, No. 14. Lebanon: UNESCO, International Centre for Human Sciences and Friedrich-Ebert-Stiftung.
- Horowitz, D. L. 1985. *Ethnic Groups in Conflict*. Berkeley: University of California Press.
- Hudson, M. 1968. *The Precarious Republic: Political Modernization in Lebanon*. New York: Random House.
- International Crisis Group (ICG). 2009. *Lebanon's Elections: Avoiding a New Cycle of Confrontation*. Middle East Report No. 87. 4 June. Beirut/Brussels: ICG.
- Kenny, M. 1999. A Place for Memory: The Interface between Individual and Collective History. *Comparative Studies in Society and History*. 41: 420-437. Princeton and Oxford: Princeton University Press.
- Khawaja, M., Abdelrahim, S., Afifi Soweid, R. and Karam D. 2006. Distrust, social fragmentation and adolescent health in the outer city: Beirut and beyond. *Social Science and Medicine*. 63: 1304-1315.
- Kitzinger, J. 1995. Qualitative Research: Introducing focus groups. *British Medical Journal*. 311: 299-302.
- Kraft, M., Al-Mazri, M., Wimmen, H., Zupan, N. 2008. *Walking the Line. Strategic Approaches to Peacebuilding in Lebanon*. Bonn: Working Group on Development and Peace (FriEnt).
- Leigh, A. 2006. Trust, Inequality and Ethnic Heterogeneity. *The Economic Record*. 82 (258): 268-280. Queensland: The Economic Society of Australia.
- Lindlof, T. R., and Taylor, B. C. 2002. *Qualitative Communication Research Methods*. CA: Sage Publications Inc.
- Massey, D. 1998. The spatial construction of youth cultures. *Cool places: Geographies of Youth Culture*. London and New York: Routledge.
- Polletta, F. and Jasper, J. 2001. Collective Identity and Social Movements. *Annual Review of Sociology*. 27 (1): 283-305. New York: Columbia University Press.

- Portes, A. and Sensenbrenner, J. 1993. Embeddedness and Immigration: Notes on the social determinants of economic action. *American Journal of Sociology*. 98 (6):1320-1350.
- Ray, L. 1999. Memory, Trauma and Genocidal Nationalism. *Sociological Research Online*. 4 (2).
- Sen, A. K. 2006. *Identity and Violence: The Illusion of Destiny*. New York: W. W. Norton & Company Inc.
- Sennett, R. 1970. *The Uses of Disorder: Personality, Identity and City Life*. New York: Norton.
- Simmel, G. 1955. *Type and Fluctuation of Social Conflict*, translated by K. Wolf. Glencoe, Illinois: The Free Press.
- Sorokin, P. 1937. *Fluctuation of Social Relationships, War, and Revolution*. *Social and Cultural Dynamics*, Volume 3. New York: American Book Company.
- Stewart, F. 2002. Root causes of violent conflict in developing countries. *British Medical Journal*. 324: 342-345.
- Taylor, G. and Spencer, S. (eds.) 2004. *Social Identities: Multidisciplinary Approaches*. London: Routledge.
- Tilly, C. 1994. *A Phenomenology of Landscape: Places, paths and monuments*. Oxford: Berg Publishers.
- Tilly, C. 2003. *The politics of collective violence*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Varshney, A. 2001. Ethnic Conflict and Civil Society: India and beyond. *World Politics*. 53(3): 362-398.
- Yassin, N. 2008. Can Urbanism Heal the Scars of Conflict? *City*. 12 (3): 398-401.